https://doi.org/10.17656/jlps.10159

دور القضاء الدستوري في إرساء مباديء الانفصال

دراسة في فتوى المحكمة العليا الكندية بشأن انفصال كيبيك

أ.م.د.خاموش عمر عبدالله*

* المستشار القانوني في برلمان اقليم كوردستان.

الملخص

إن مسألة "الانفصال" هي واحدة من أصعب القضايا التي تعرضت لها المحكمة العليا الكندية، وذلك بعد إجراء استفتائين في عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٥، وفي كلا الاستفتائين صوت الناخبون بفارق ضئيل لأجل البقاء داخل كندا.

وفي ٢٠ اغسطس ١٩٩٨ أصدرت المحكمة العليا الكندية فتوى بشأن مشروعية إنفصال كيبيك من جانب واحد.

وشددت المحكمة في فتواها على "المباديء الأساسية الأربعة في الدستور"، وهذه المباديء هي "الفدرالية والديمقراطية و سيادة الدستور والقانون و احترام الأقليات"، وبموجب القانون الدستوري الكندي، فان الانفصال بموجب هذه المباديء يستوجب التفاوض على تعديل الدستور الكندي.

ورأت المحكمة ان الطريقة القانونية الوحيدة التي بموجبها تنفصل كيبيك عن كندا هي من خلال آليات التعديل المنصوص عليها في القانون الدستوري لعام ١٩٨٢، وأشارت المحكمة إلى واجب التفاوض باعتباره ضماناً لنجاح الانفصال، إذ تشير المحكمة على ان الاطراف المعنية يجب ان تتفاوض على التسوية المستقبلية.

وبالنسبة للاستفتاء أشارت المحكمة إلى ضرورة وجود دعم مناسب من سكان كيبيك لصالح الانفصال كما يجب أن يكون صياغة السؤال خالية من الغموض، ويجب أن يكون الاستفتاء لصالح الانفصال مدعوماً بـ"أغلبية واضحة"، من دون أن يشير إلى نسبة تلك الأغلبية.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وفي أعقاب فتوى المحكمة حول انفصال كيبيك شرعت الحكومة الفدرالية لوضع الشروط التي وضعتها المحكمة في إطار تشريعي ما يسمى بـ"قانون الوضوح".

جوهر قانون الوضوح مستمد من فتوى المحكمة، يتناول القانون وضوح السؤال و وضوح الأغلبية و القضايا التي ستناقش أثناء المفاوضات.

پوخته

مەسەلەی "جیابونەوە" یەکێکە لە قورسترین ئەو کەیسانەی کە دادگای باڵای کەنەدی ڕووبەڕووی بۆوە، ئەوەش دوای ئەنجامدانی دوو ڕیفراندۆم لە ساڵەکانی ١٩٨٠ و ١٩٩٥، لەهەردوو ڕیفراندۆمەکەدا دەنگدەران بە جیاوازیەکی کەم دەنگیان بۆ مانەوە لەنێو یەکێتی کەنەدا دا.

لە ٢٠ ئۆگستۆسی ١٩٩٨ دادگای باڵای کەنەدی فەتوایەکی دەرکرد لە بارەی ڕەوایەتی جیابونەوەی تاك لایەنەی کیوبیك.

دادگا لە فەتوایەکەی جەختی کردەوە لەسەر "چوار پرەنسیپە بنەڕەتیەکەی دەستور"، ئەو پرەنسیپانەش بریتین لە "فیدرالی و دیموکراتی و، و سەروەری دەستورو یاسا، و ڕێزگرتن لە کەمینەکان"، بەگوێرەی بنەما دەستوریەکانی کەنەدا، جیابونەوە بەگوێرەی ئەو پرەنسیپانە پێویستی بە دانوستاندنە لە پێناو هەموارکردنی دەستوری کەنەدی.

دادگا لە فەتوایەکەی وای دەبینێ کە تاکە ڕێگەی یاسایی بۆ جیابونەوەی کیوبیك لە کەنەدا لە ڕێگەی ئەو میکانیزمی هەموارکردنەیە کە دەستوری کەنەدی ساڵی ١٩٨٢ ئاماژەی بۆکردووە، دادگا ئاماژەی بە پێویستی دانوستاندن کرد بەو پێیەی گەرەنتی سەرکەوتنی جیابونەوەیە، دادگا ئاماژە بۆ ئەوە دەکات کە پێویستە لایەنە پەیوەندیدارەکان دانوستاندن ئەنجام بدەن، تا بگەنە ڕێکەوتنێك لە بارەی جیابونەوە.

سەبارەت بە ڕیفراندۆم دادگا ئاماژەی بەوەکرد کە پێویستە پاڵپشتیەکی گونجاو هەبێت لە لایەن دانیشتوانی کیوبیك بۆ بەرژەوەندی جیابونەوە، هەروەها پێویستە داڕشتنی پرسیارەکە

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

بەشێوەیەك بێت كە ناڕوون نەبێت، هەروەها پێویستە دەنگدانەكە لەپێناو بەرژەوەندی جیابوونەوەكە پاڵپشت بێت بە "زۆرینەیەكی ڕوون"، بێ ئەوەی بەڕێژەی ئەو زۆرینەیە بكات.
دوای فەتوای دادگا لە بارەی جیابوونەوەی كیوبیك حكومەتی فیدرالی دەستی كرد بە دانانی مەرجەكانی جیابونەوە وەك ئەوەی لە فەتوایەكە ئاماژەی بۆ كرابوو، بەڵام لە چوارچێوەیەكی یاسایی لەژێر ناونیشانی "یاسای ڕوون".
كرۆكی یاسای ڕوون لە فەتوای دادگا وەرگیراوە، ئەو یاسایە ئاماژە بە ڕوونی پرسیارەكەو ڕوونی زۆرینەكە دەكات، هەروەها ئەو بابەتانەشی كە لەكاتی دانوستاندن گفتوگۆیان لەبارەیەوە دەكرێت.

Abstract

The issue of "secession" is one of the most difficult issues that faced the Supreme Court of Canada, after two referendums in 1980 and 1995, and in both of them voters narrowly voted to stay within Canada.
On 20th of August 1998, the Supreme Court of Canada issued a judgment on the legality of unilateral secession of Quebec.
In its advisory opinion, the Court emphasized "the four basic principles of the Constitution", which are "federalism, democracy, rule of law, respect for minorities" in accordance with the Canadian constitutional law, separation under these principles requires negotiation of the amendment of the Canadian Constitution.
The Court considered that the only legal way under which Quebec would be separated from Canada was through the amendment mechanisms of the 1982 Constitutional Law. The Court referred to the obligation to negotiate as a

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

guarantee of the success of the separation. The Court noted that the parties concerned should negotiate a future settlement.

In terms of the referendum, the Court noted the need for adequate support from the population of Quebec in favor of separation. The wording of the question should be unambiguous. The ballot in favor of secession must be supported by a "clear majority", without indicating the proportion of that majority.

Following the Judgment from the Court on the secession of Quebec, the federal government began to set the conditions laid down by the Court in a so-called "Clarity Law" in a legislative framework.

The essence of the Clarity act derives from the advisory opinion (judgment) of the Court. The Law deals with the clarity of the question and the clarity of the majority and the issues to be discussed during the negotiations.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

المقدمة

إن التفسير الدستوري ليس بمهمة سهلة خاصة عندما يتعين على المحاكم التعامل مع حالات لاتتوفر بشأنها معايير واضحة للتطبيق، أو عندما يكون هناك فراغ قانوني، لذلك يمكن الاستفادة من التجارب الاخرى، التي تلقي الضوء على القضية و تساعد الباحثين القانونيين للوصول إلى حل للقضية.

إن مسألة "الانفصال" تضع وحدة الدولة موضع التساؤل، وهي بلاشك واحدة من أصعب القضايا التي يتعين على المحكمة البت فيها، إن معظم الدساتير ساكتة بشأن هذه المسألة، وبالتالي فاننا نفتقر إلى مواد قانونية واضحة لحل هذه المشكلة، التي تشكل تحدياً كبيراً أمام القضاء الدستوري، ومما لاشك فيه إن الانفصال أمر معقد يجمع بطبيعته الذاتية العناصر القانونية والسياسية في آن واحد، لذلك عندما تواجه المحكمة طلب الانفصال، وفي ظل غياب حكم داخلي بشأن التغييرات الحدودية، قد تنظر أيضاً في القانون الدولي لاستنتاج بعض المباديء التوجيهية التفسيرية بهذا الشأن، ومن هذا المنطلق أصبح الرأي الذي اصدرته المحكمة العليا في كندا بشأن انفصال كيبيك علامة فارقة في تحليل الانفصال والاستفتاء على الصعيدين الداخلي والدولي.

مشكلة البحث

يتناول البحث فتوى المحكمة العليا الكندية بالقدر المناسب لبيان المفاهيم التي ارستها والمباديء التي استخلصتها في مجال محاولة انفصال مقاطعة كيبيك عن كندا، وهي إن كانت مفاهيم عديدة يصعب حصرها إلا اننا سنتناول أهمها، وأكثرها تأثيراً على المشرع لوضع القواعد القانونية المتعلقة بهذا المجال، وخاصة اننا نفتقر إلى مواد قانونية واضحة لحل المشكلة.

وتكن إشكالية البحث حول دور الاستفتاء في الانفصال، هل ان اجراء الاستفتاء الزامي لأنفصال المقاطعة؟ أو هل إن الاستفتاء بحد ذاته يضفي الشرعية على الانفصال؟ ماهي الشروط أو المباديء الأساسية لانفصال مقاطعة كيبيك؟ وبالرجوع إلى القواعد الدستورية الكندية نجد انها التزمت الصمت بشأن مسالة الانفصال، فهل هذه العملية تحتاج إلى التفاوض؟

في هذه الدراسة نحاول الوصول إلى اجابات لتلك الاشكاليات التي تجنبت القواعد الدستورية الاشارة اليها.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

اهمية البحث

تتمثل أهمية البحث في ابراز الدور الذي اضطلع بها المحكمة العليا في استخلاص و توضيح المفاهيم الأساسية لأنفصال المقاطعة، من خلال تفسير لأحكام القواعد الدستورية وفق معطيات وتغيرات العصر.

وكذلك تكمن أهمية الدراسة في ان فتوى المحكمة لم تقتصر على تناول القوانين الداخلية والقواعد الدستورية الداخلية، نظراً لأنها واجهت مسألة لم يرد بشأنها حكم داخلي دقيق، لذلك نظر في القانون الدولي لأستنتاج بعض المباديء التوجيهية في هذا المجال.

صحيح ان فتوى المحكمة مصدر غير تشريعي للقواعد القانونية، فهو مصدر تفسيري يتمتع بقيمة استئناسية، إلا انه موجه للسلطة التشريعية، فيما يتحتم عليها تشريعه من قوانين، تداركاً لفراغ قانوني نشأ عن فتوى المحكمة.

منهج البحث

اتبعنا المنهج التحليلي التطبيقي، يعتمد على معالجة نقطتين جوهريتين، هما ابراز دور المحكمة العليا الكندية في وضع المباديء الأساسية المتعلقة بأنفصال مقاطعة كيبيك، والآثار المترتبة لفتوى المحكمة على المشرع القانوني لوضع القواعد التفصيلية و الشروط المتعلقة بالانفصال القانوني لتلك المقاطعة.

في ضوء هذا التمهيد، ننطلق إلى معالجة إشكالية البحث متبعين الخطة التالية:

المبحث الاول: استفتاءات مقاطعة كيبيك بشأن الانفصال.

المبحث الثاني: فتوى المحكمة العليا بشأن الانفصال.

المبحث الثالث: قانون الوضوح.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

المبحث الاول

استفتاءات مقاطعة كيبيك بشأن الانفصال

اتفق ممثلو أربع مستعمرات بريطانية هي (اونتاريو و تبونزويك و نوفاسكوتشا و كيبيك) نحو تشكيل اتحاد كونفدرالي وسمي هؤلاء السياسيون باسم (أباء الكونفدرالية الكندية) الذين وضعوا قانون باسم (قانون امريكا الشمالية البريطانية) ولكن لم تحصل كندا على استقلالها من بريطانيا حتى عام ١٩٣١ عندما أصدرت بريطانيا قانون منح كندا الحرية الكاملة في الاختيار بين الاستقلال عن بريطانيا أو البقاء جزءاً منها، وبعد الذهاب إلى خيار الاستقلال تم الاعتماد على قانون امريكا الشمالية البريطانية ليعرف فيما بعد باسم الدستور الكندي[١].

تم انشاء هيكل النظام الفدرالي الحالي بشكل كبير في عام ١٨٦٧، مع منح جزء من السيادة الداخلية للمقاطعات، ورحب العديد من المواطنين في كيبيك بالكونفدرالية باعتبارها فرصة لحماية الثقافة الكيبكية وانضموا في البداية إلى النظام الكونفدرالي الجديد.

كانت كندا مرتبطة بالامبراطورية البريطانية ، ووفقاً لقانون وستمنستر اصبحت كندا متمتعةً بالحكم الذاتي في عام ١٩٣١ ، كما تم تبني دستور عام ١٩٨٢، وانهى الدستور كل العلاقات التشريعية بالمملكة المتحدة[٢].

ان الدستور الكندي يضم عدداً من الوثائق والتي تشكل بمجموعها ما تسمى بـ"تشريعات دستور ١٨٦٧-١٩٨٢" ومن هذه التشريعات: قانون دستور ١٩٨٢، قانون مانيتويا ١٨٧٠، قانون دستور ١٩١٥، و قانون دستور ١٩٣٠، و تشريعات ويستمنستر ١٩٣١، قانون دستور ١٩٤٠، وقانون نيوفاوندلاند ١٩٤٩، قانون دستور ١٩٦٠، قانون دستور ١٩٦٤، قانون دستور ١٩٦٥، قانون دستور ١٩٧٤، قانون دستور ١٩٧٥، قانون دستور (٢) ١٩٧٥[٣].

---

[1] د.باسم علي خريسان، النظام السياسي الاسترالي والكندي، مجلة (اهل البيت)، العدد التاسع، ص٦٣.

[2] Alan Trench, Intergovrnmental relations in Canada; Lessons for the U.K? www.centreonconstitutionalchange.ac.uk(٢٠١٩/١/٨)

[3] سرهنك حميد صالح البرزنجي، مقومات الدستور الديمقراطي و آليات المدافعة عنه- دراسة تحليلية نقدية مقارنة في ضوء المباديء العامة للدساتير المعاصرة، اطروحة دكتوراه فلسفة في القانون العام، جامعة صلاح الدين- كلية القانون والسياسة، ٢٠٠٧، ص٤٩.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وتتجذر حركة كيبيك الانفصالية في إرادة طويلة الأمد لأكتساب المزيد من الصلاحيات المنوحة لمناطق الحكم الذاتي، لاسيما فيما يتعلق بالحفاظ على التراث الفرنسي و بصفة عامة تمييزها الثقافي[1].

خلال فترة عشرينيات و ثلاثينيات القرن العشرين، وظهور النزعة القومية الكيبكية، لكن لم تظهر الحركة الانفصالية كقوة سياسية إلا في أواخر الخمسينيات و بداية الستينيات، وازداد الضغط الانفصالي والقومي خلال ستينيات القرن الماضي، حيث استولت قومية كيبيك الجديدة على القومية الكندية الفرنسية القديمة، في عام ١٩٦٦، حصل حزب التجمع من اجل الاستقلال الوطني، وهو مجموعة يسارية، و أحزاب انفصالية اخرى على أكثر من (٩%) من الأصوات في انتخابات مجلس كيبيك[2]. وظهر المزيد من الجماعات التي تنادي بالانفصال خاصة في سبعينيات القرن العشرين.

اجرت مقاطعة كيبيك استفتائين حول الانفصال، اجري الاستفتاء الاول في عام ١٩٨٠، أما الاستفتاء الثاني فقد اجري في عام ١٩٩٥، وعليه سنقوم بتوزيع هذا المبحث إلى مطلبين نتناول في الاول استفتاء عام ١٩٨٠، أما استفتاء عام ١٩٩٥ فسيكون موضوع المطلب الثاني.

المطلب الاول

استفتاء عام ١٩٨٠

تم انتخاب حزب (Parti Quebecois) في عام ١٩٦٧، والذي اسس من قبل العضو السابق في الحزب الليبرالي الكوبيكي (Rene Levesque) حركة (Souverainetr- Association)، التي اصبحت فيما بعد (Parti Quebecois- PQ) في عام ١٩٦٨، تبنى هذا الحزب سياسة استقلال كيبيك، وازدادت شعبية الانفصالية بصورة مطردة بدأً من تلك النقطة، وفي انتخابات عام ١٩٧٠،

[1] Lindi Giulia, Secession and referendum; Anew dimension of international law on territorial changes? Indirizzo in piritto internazionale e dell union europea settore scientific disciplinare, Anni 2014-2017, P145.

[2] Ben Smith, The Quebec referendums, House of commons- library, Resech paper, 2013, P3.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

كان أداء (PQ) جيداً، لكنه فشل في التغلب على اللبراليين، وفي الانتخابات التالية بعد أزمة عام ١٩٧٠، زادت شعبيته مرة اخرى، إلى (٣٠%)، ومع ذلك اخفق في التغلب على الليبرالين، وعدل الحزب سياسته إلى نهج الاستقلال التدريجي: بحيث يكون كيبيك مقاطعة ذات سيادة تربطها ارتباط اقصادي وثيق مع بقية كندا، وهي السياسة التي وصفت بانها "رابطة السيادة"[١].

وصل حزب (PQ) إلى السلطة في انتخابات كيبيك عام ١٩٧٦، بحيث حصل على نسبة (٤١%) من أصوات الناخبين، و فاز بـ(٧١) مقعداً من أصل (١١٠) مقاعد الجمعية الوطنية، وهزم الحزب الليبرالي الكيبيكي، الذي كان يعاني من سلسلة مشاكل، و أول مشروع تقدم به الحزب هو مشروع قانون يقوي مكانة اللغة الفرنسية كلغة رسمية وحيدة في كيبيك و وإنشاء المجلس الاعلى للغة الفرنسية (Conseil Superieur de langue Francaise)، كما وضعت خطة للسيادة في عام ١٩٧٩ بعنوان (Quebec- Canada; A New Deal)، كما اقترحت حكومة كيبيك من اجل بناء شراكة جديدة بين مستويين من السيادة المتساوية علاقة رابطة تربط بينهم[٢].

وهكذا شهدت ستينيات و سبعينيات القرن العشرين نمواً في القومية الكوبيكية الناشئة، أدى إلى ولادة حزب (PQ)، ورداً على هذا الاتجاه المتنامي، فان الحكومة الاتحادية بقيادة "بيار الييوت ترودو"، قاد فكرة مركزية كندا إلى الامام، كان الغرض من ذلك هو خلق اندماج وطني أقوى[٣].

ولابد أن نشير إلى ان كيبيك منحت وضعاً خاصاً: يستفيد مواطنوها من نظام قانوني خاص، والقانون المدني الخاص، ويستخدم اللغة الفرنسية، وكذلك من الفوائد المالية، كما تتمتع بسلطات واسعة في مجال الهجرة والقدرة في إبرام الاتفاقيات الدولية[٤].

تشكيل حكومة الأغلبية في عام ١٩٧٦ منح حزب (PQ) فرصة لتنظيم الاستفتاء على الاستقلال[١].

---

[1] Ben Smith, Op,Cit, P5.

[2] Ibid , P5.

[3] Alixander Funk, Asymmetrical federalism, Astabilizing or destabilizing factor in the multinational federation? Acomparative study of asymmetrical federalism in Canada and spain, Center imternational de formation europeenne, Master thesis, 2009-2010, P29.

[4] Lindi Giulia, Op,Cit, P145.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وطرحت مسألة اجراء الاستفتاء لأول مرة كمسألة دستورية و سياسية في كيبيك في عام ١٩٦٩، عندما تمت مناقشة مشروع قانون، ولكن لم يتم من قبل الجمعية الوطنية، وقدم (PQ) بعد انتخابه للسلطة في كيبيك في عام ١٩٧٦ وعداً باجراء استفتاء في وقت لاحق، وقدم مشروع قانون الاستفتاء في ديسمبر من العام التالي، وحصل (قانون الاستفتاء) على الموافقة الملكية في يونيو ١٩٧٨، وبموجب القانون فان نتيجة الاستفتاء لن تكون ملزمة لحكومة كيبيك، وتمت صياغة مشروع قانون الاستفتاء بشكل يتوافق مع الدستور الاتحادي، بحيث لايؤثر على السلطات الفدرالية، ونص قانون الاستفتاء على إنشاء مجلس الاستفتاء، مؤلف من ثلاثة قضاة محليين، كما يكون للمجلس سلطة البت في المسائل التقنية والقانونية المتعلقة بالاستفتاء[٢].

في السياسة الدولية لاستقلال كيبيك هناك طرفان مهمان: فرنسا (التي تربطها الرابطة التأريخية و والثقافية بالمقاطعة)، و الولايات المتحدة. في ستينيات القرن الماضي اعربت فرنسا عن دعمها لاستقلال كيبيك، كما يتضح من تصريح الجنرال ديغول في عام ١٩٦٧[٣].

تم اجراء الاستفتاء في عام ١٩٨٠ الخاص بـ"السيادة" وفقاً لقانون الاستفتاء في كيبيك لعام ١٩٧٨، ونص القانون على انه يجب ان تدعو الحكومة إلى الاستفتاء على مشروع قانون أو أي مسألة توافق عليها الجمعية الوطنية في كيبيك بناء على اقتراح يقدمه رئيس الوزراء، وينص القانون على ان تحدد حكومة كيبيك موعداً لاجراء استفتاء، والانتخابات العامة، بموجب كتاب موجه إلى كبير موظفي الانتخابات[٤].

كانت فكرة السيادة جزءاً من المشهد السياسي في كيبيك لأكثر من (٤٥) عاماً، مما أدى إلى اجراء استفتائين على مدى أقل من عقدين في (٢٠) مايو ١٩٨٠، و الآخر في (٣٠) اكتوبر ١٩٩٥، وتم

---

[1] Andre Lecours, The two quebec independence referendums; Political strategies and international relation, coleccion monografias cidob, 2017, P7.

[2] Ben Smith, Op,Cit, P5.

[3] وكان الدافع وراء استراتيجية الجنرال ديغول رغبة في "التخفيف من الهيمنة الانغلو- الامريكية على حلف شمال الاطلسي و ايجاد حليف لفرنسا في أمريكا الشمالية، أما اولايات المتحدة كان مع الوحدة الكندية،) إن المعارضة الأمريكية يمكن أن يؤثر على بعض الناخبين لعدم التصويت بـ"نعم" لصالح PQوأعترفت حكومة (الاستفتاء .Ander Lecours, Op,Cit, P8.

[4] Ben Smith, Op,Cit, P6.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

استخدام العديد من التعبيرات المختلفة لتسمية المشروع القومي من "الفصل" و "الاستقلال" و "السيادة" و"السلطة السيادية" و "الشراكة السيادية"[١].

في فبراير ١٩٨٠ فاز الليبرالي بيير ترودو بالسلطة الفدرالية، وكان ترودو خصماً قوياً للقوى الانفصالية، وقاد حملة للاصلاح الدستوري، وناقشوا بان الانفصال يؤدي إلى فقدان (٢٠٠) الف وظيفة ، وذلك يعني زيادة (٩١%) في الضرائب للحفاظ على نفس المستوى من الخدمات الحكومية، و شكك الاتحاديون فيما إذا كانت كيبيك ستتمكن من دفع رواتب التقاعد، لذلك استهدفوا الناخبين الأكبر سناً، لأنهم اقل احتمالاً من غيرهم للتصويت لصالح الانفصال، وبالمقابل ناقش الانفصاليون بأنه إذا خسرت كيبيك الكثير من الوظائف التي تعتمد على التجارة مع بقية كندا، فان بقية كندا سوف تفقد أيضاً عدداً مماثلاً من الوظائف التي تعتمد على التجارة مع كيبيك وقالوا ان المقاطعات الاخرى يمكن لها ان تحافظ على مصالحها من خلال التفاوض على اتفاقية تضمن استمرارية التجارة فيما بينها، كما أشار معسكر "نعم" إلى ان كيبيك تتمتع بامكانيات هائلة في الزراعة والموارد الطبيعية، بما في ذلك الطاقة الكهرمائية والمعادن، وكان هناك مناقشة ساخنة حول "العملة" فقد كان معسكر "لا" يناقشون بانه لايمكن للمقاطعات الاخرى الكندية ان توافق على اتحاد نقدي مع كيبك مستقلة، وان كيبيك ستجد صعوبة في استخدام الدولار الكندي، كما ان جبهة معسكر "لا" وجهت طاقاتها نحو الاقليات غير الناطقة بالفرنسية في كيبيك، كالمهاجرين والكنديين الاوائل الذين سكنوا في كيبيك[٢].

كانت هناك عقبات واجهتها (PQ) في اقناع المتقاعدين لدعم الانفصال، لذلك اختار الحزب مفهوم "السيادة" بدلاً من "الاستقلال"، إضافة إلى طرح فكرة الارتباط مع كندا، وكان التركيز على الرابطة الاقتصادية وليست السياسية (على الرغم من ان هذا لم يتم استبعاده رسمياً) مع كندا، كان الهدف من تبني هذه الاستراتيجية (النهج التدريجي، اجراء الاستفتائين، استخدام مفهوم السيادة (مع وجود رابطة اقتصادية) هو الحصول على أغلبية الأصوات لصالح "نعم"[٣].

---

[1] Francois Yalea, Claire Durandb, What did quebec want?impact of question wording constitutional proposal and cotext on support for sovereignty, 1976-2008, American review of candian studies, Vol.41, NO.3, P242.

[2] Ben Smith, Op,Cit, P7.

[3] Adnre Lecours, Op,Cit, P6.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

ومع حرارة حملة المعسكرين، إلا ان الخلافات فيما بينهما كان خالياً من اللجوء إلى استخدام وسائل العنف. وأشارت التقارير إلى وجود فجوة بين الجنسين، بحيث من المرجح ان تصوت النساء لصالح "لا"، بينما يميل الرجال للتصويت بـ"نعم"، وكان السبب في ذلك يعود إلى أسباب مالية، فالنساء أكثر قلقاً بشأن دفع الفواتير من الرجال[1].

أدركت (PQ) الطبيعة الراديكالية لمشروعها، وسعت إلى تبني استراتيجية ما يسمى بـ"النهج التدريجي" في عام ١٩٨٠ سأل الحزب المواطنين على تفويض لترتيب "اتحادي سيادي" مع كندا، في حالة كانت النتائج لصالح "نعم"، سيتم اجراء استفتاء ثانٍ للتصديق على "الاتحاد" عن طريق التفاوض، وبعبارة اخرى سيكون لدى الكيبوبيكين فرصة لتأكيد قرارهم بأن يصبحوا مستقلين، وذلك بعد ان منحت في البداية (في الاستفتاء الاول) حكومة كيبيك لبدء مفاوضات الانفصال مع كندا[2].

أي وفقاً "للنهج التدريجي" إذا صوت الناخبون في الاستفتاء الاول بـ"نعم" يجب ان يتبع الاستفتاء نتيجة اخرى بـ"نعم" في استفتاء ثانٍ من اجل الانفصال.

وكانت الحجج الرئيسية لـ"PQ" خلال حملة استفتاء عام ١٩٨٠ ترتكز على نقطتين أساسيتين[3]:

١-يمكن للدولة المستقلة ان تحمي وترعى بشكل أفضل لغتها و كيانها الاجتماعي والاقتصادي والثقافي، إلا ان الحزب لم يقم بأي جهد لاقناع المهاجرين بالتصويت لصالح نعم، لأنهم كانوا إلى حد كبير مع بقاء كيبيك كجزء من كندا.

٢-ان الاستقلال سيخلق مجتمع أكثر عدلاً و أكثر عدالة، لأن الدولة تستخدم كل الوسائل لسد الفجوة بين الاغنياء والفقراء.

وكان سؤال الاستفتاء كالآتي "**اعلنت حكومة كيبيك عن اقتراحها للتفاوض على اتفاق جديد مع بقية كندا، على أساس المساواة فيما بينهم، وبموجب هذه الاتفاقية ستتمكن كيبيك من الحصول على السلطة الحصرية لتشريع قوانينها، وفرض ضرائبها و إقامة العلاقات الخارجية، وبعبارة اخرى تكون لديها السيادة، وفي نفس الوقت تحتفظ بالاتحاد الاقتصادي، بما في ذلك**

[1] Ben Smith, Op,Cit, P7.
[2] Andre Lecours, Op,Cit, P7.
[3] Andre Lecours, Op,Cit, P8-9.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

العملة المشتركة مع كندا، ولن يحدث أي تغيير في الوضع السياسي الناتج عن هذه المفاوضات دون موافقة الشعب من خلال استفتاء آخر، وفقاً لهذه الشروط هل تمنح حكومة كيبيك ولاية تفاوض على الاتفاقية المقترحة بين كيبيك و كندا؟"[1].

وكانت النتيجة كالآتي[2]:

نعم للمفاوضات	١ر٤٧٨ر٢٠٠	٥٠ر٤٠%
لا للمفاوضات	٢ر١٧١ر٩١٣	٥٠ر٥٩%

وبلغت نسبة المشاركة في الاستفتاء (٣٠ر٨٤%).

لم تسعى حكومة (PQ) أبداً للحصول على موافقة الحكومة الفدرالية لأجراء الاستفتاء على الاستقلال، إضافة إلى ذلك لم تعترض الحكومة الفدرالية بشكل جدي على السؤال المطروح، كما لم تشكك في ان (٥٠+١) سيكونون أغلبية كافية لبدء مفاوضات الانفصال، حتى في حالة عدم وجود اتفاق تفاوضي بين حكومتي كيبيك و كندا، لم يكن هناك تقريباً أي مناقشة حول شرعية الاستفتاء[3].

كما أشرنا ان المؤيدين لصالح الوحدة وعدوا باجراء اصلاحات دستورية إذا صوت الناخبون لصالح الوحدة، وكان عرض الفدرالية المرنة أحد أهم اسس الوحدويين، وبعد انتخابات عام ١٩٨٠ وعد رئيس الوزراء آنذاك بيير ترودو بانه يجب اجراء المزيد من الاصلاحات اللامركزية: الان وقد أكدنا من جديد على إرادتنا في العيش معاً يجب ان نفرغ انفسنا دون أي تأخير لمهمة إعادة بناء وطننا لتتوافق مع الاحتياجات الحالية للشعب الكندي، واعيد انتخاب (PQ) في عام ١٩٨١، ولكن بعد ذلك بدأت شعبيته في الانخفاض[4].

[1] Jure Vidmar, Democracy And state creation in international law, PHD Thesis, University of Nottingham, 2009, P203-204.
[2] Jure Vidmar, Op,Cit, P204.
[3] Andre Lecours, Op,Cit, P8.
[4] Ben Smith, Op,Cit, P7.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

في السابق كان الدستور الكندي مقيداً بالقوانين التي يصدرها برلمان المملكة المتحدة، وفي عام ١٩٤٩ منحت كندا الحق في تعديل اجزاء معينة من دستورها، بعد عام ١٩٨٢، منحت كندا السيطرة الكاملة على دستورها، مجسدة في القانون الكندي (دستور عام ١٩٨٢).

ان الاصلاحات الوطنية أدت إلى تقويض بعض من الاستقلال الذاتي للمقاطعات بشكل عام و كيبيك بشكل خاص، تقليدياً كانت كيبيك تتمتع ببعض الاعتراف بوضعها الخاص، على سبيل المثال الاعتراف بالقانون المدني الفرنسي في المقاطعة منذ القرن الثامن عشر، كما ان ميثاق الحقوق لعام ١٩٨٢ يتضمن تراجعاً في حرية العمل التشريعي في كيبيك، كما الغت الاصلاحات رسمياً حق النقض الذي كان تتمتع به مقاطعة كيبيك[١].

لذلك انتقد تلك الاصلاحات من قبل مؤيدي الانفصال في كيبيك لانها كانت مخيبة لتطلعات الشعب الكيبيكي، لان تلك الاصلاحات ركزت على رؤية مركزية لكندا، والتي تتعارض مع الرؤية الكيبيكية.وقدمت حكومة كيبيك و مثقفوها خمسة مطالب للتغيير الدستوري قبل ان تدعم الدستور الوطني، وقد كانت المطالب[٢]:

١- الاعتراف بكيبيك باعتبارها "مجتمعاً متميزاً".

٢-منح حق الفيتو على التعديلات الدستورية.

٣-زيادة صلاحيات المقاطعات فيما يتعلق بالهجرة.

٤-منح المزيد من الحقوق في التعويض المالي للمقاطعات التي تختار عدم المشاركة في البرامج الفدرالية.

٥-دور المقاطعات في تعيين أعضاء مجلس الشيوخ وقضاة المحكمة العليا.

وبعد انتخاب بريان مولروني رئيساً لوزراء كندا في عام ١٩٨٤، تغير المشهد بشكل كبير، توصل رئيس وزراء كيبيك إلى اتفاق مع الحكومة الفدرالية الجديدة، وتخلى كيبيك عن سعيها إلى الانفصال ووافقت على إجراء مفاوضات حول الاصلاح الدستوري.

اخذ بريان مولروني زمام المبادرة في التفاوض مع مقترحات رئيس وزراء كيبيك للتعديل الدستوري الذي من شأنه ان يفي بمطالب المتقاعدين، وتعزيز استقلال المقاطعات الكندية، وفي

[1] Ibid , P8.

[2] Ibid , P9.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

نفس الوقت يمنح الاعتراف الخاص بكيبيك بكونها "مجتمع متميز"، وفي انتخابات كيبيك في ديسمبر عام ١٩٨٥، فاز الليبراليون تحت قيادة روبرت بوراسا في كيبيك، ولم توافق بعض المقاطعات الناطقة بالانجليزية على الاتفاق، ومع توقف عملية تعديل الدستور، كان هناك تصاعد في الشعور بالانفصال في كيبيك[١].

إن تلبية مطالبة كيبيك بشأن الاعتراف بها كـ"مجتمع متميز" داخل كندا في الاتفاقية التي اطلق عليها "اتفاقية بحيرة ميتش" كان يجب أن تصوت عليها المقاطعات العشر في غضون ثلاثة أعوام، إلا ان بعضاً من المقاطعات الاخرى اجهضت الاتفاقية (خاصة الناطقة بالانجليزية كما اشرنا اليه اعلاه)، تبعته جولة اخرى من المفاوضات الدستورية، انتهت بتوقيع "اتفاق شارلوت تاون" في اغسطس ١٩٩٢[٢].

المطلب الثاني

استفتاء عام ١٩٩٥

تغيرت طبيعة التعبئة القومية في كيبيك، ولكن يمكن القول إلى انها ارتفعت من جديد في أوائل التسعينات، وخاصة بعد صدور دستور جديد في عام ١٩٨٢ من دون موافقته، استفاد (PQ) في تغذية هذه المشاعر، بحجة انه حان الوقت لجعل كيبيك دولة مستقلة[٣].

انشأ الحزب الليبرا لي في كيبيك لجنة تحت قيادة جان البير، والتي اصدرت تقريراً بعنوان (كيبيك: حرية الاختيار)، وكان التقرير تتضمن اقتراحاً لأجراء استفتاء في كيبيك بحلول عام ١٩٩٢ ، سيكون الاستفتاء إما على الاصلاح الدستوري وفقاً للمقترحات الواردة في التقرير، وفي حالة فشل ذلك، سيكون الاستفتاء على سيادة كيبيك، وأنشأت الجمعية الوطنية في كيبيك لجنة (Belanger-Campeau) للنظر في الترتيبات السياسية والدستورية في كيبيك، وأصدرت اللجنة تقريرها في عام ١٩٩١، وأوصت باجراء استفتاء حول السيادة بحلول عام ١٩٩٢، غيرت الجمعية العامة في وقت لاحق تلك التوصية إلى إجراء الاستفتاء على الاصلاح أو السيادة[٤].

---

[1] , Op,Cit, P10. Francois Yalea and Claire Durandb

[2] Francois Yalea and Claire Durandb, Op,Cit, P243.

[3] Andre Lecours, Op,Cit, P12.

[4] Ben Smith, Op,Cit, P10.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

أدت التقارير المختلفة على المستوى الفدرالي وعلى مستوى المقاطعات إلى التوصل إلى اتفاق جديد في شارلوتاون (عاصمة برنس ادوارد آيلاند)، في عام ١٩٩٢، وتضمن الاتفاق اصلاحات دستورية ليس لمعالجة مسألة كيبيك فقط بل الموقف من الشعوب الاصلية أيضاً، وتوازن القوى بين الحكومة الاتحادية وحكومات المقاطعات، وإصلاح مجلس الشيوخ و مسائل اخرى[١].

كان من المقرر قبول هذه الاتفاقية، بدعم من جميع رؤساء الحكومات و الأحزاب السياسية الرئيسية، وتصويت أغلبية سكان كل مقاطعة لصالحه في استفتاء يجرى بهذا الشأن، وكانت ثلاث مقاطعات –بريتش كولومبيا و البرتا و كيبيك- قد سنوا بالفعل تشريعات تقضي بتقديم تعديلات دستورية إلى الاستفتاء العام، وأعطى هذا دفعة لأجراء استفتاء في جميع أنحاء كندا، على الرغم من انها لم تكن الزامية، انتهى الاستفتاء الذي اجري في (٢٦) اكتوبر (١٩٩٢) بـ"لا" بنسبة: (٥٤ر٣%) على مستوى جميع انحاء كندا، و بنسبة (٥٦ر٧%) في كيبيك[٢].

وبعد فشل اتفاقية (بحيرة ميتش) و اتفاقية (شارلوت تاون) تم انتخاب حزب (PQ) في ١٢ سبتمبر ١٩٩٤.

في انتخابات كيبيك لعام ١٩٩٤، أعاد الناخبون الثقة بحزب (PQ)، حيث فاز بأغلبية مقاعد الجمعية تحت قيادة (جاك باريزو)، وكانت حملة الحزب تتضمن تعهداً بأجراء استفتاء في السنة الاولى من حكمه، إذا فاز في الانتخابات، وبلغ الدعم للانفصال حوالي (٤٠%) في عام ١٩٩٤[٣]. ردت الحكومة الفدرالية بهدوء على هذا الاعلان[٤].

تم الاتفاق بين حزب (PQ) و كتلة كيبيكوا، لأجراء الاستفتاء، تم وضع مشروع قانون، وهو قانون يتعلق بمستقبل كيبيك، من قبل حزب (PQ)، وتم ارسال نسخة من مشروع القانون إلى

[١] تضمن الاتفاق المقترح: ١-الاعتراف بكيبيك كمجتمع متمييز. ٢-اصلاح مجلس الشيوخ، بحيث جعل أي قانون يتعلق بالثقافة الفرنكوفونية يتطلب موافقة مزدوجة في مجلس الشيوخ: من بين جميع اعضاء مجلس الشيوخ والشيوخ الناطقين باللغة الفرنسية. ٣-إعادة تنظيم الدوائر الانتخابية في مجلس العموم الكندي لتعكس السكان المحليين ويضمن لكيبيك ما لايقل عن ربع جميع المقاعد. ٤-اصلاح تشكيلة المحكمة العليا. ٥-منح الصلاحيات للمقاطعات فيما يتعلق بالموارد الطبيعية، والسياسة الثقافية. ٦-الحد من سلطة الحكومة الاتحادية في الغاء التشريعات التي اقرتها المقاطعات بالفعل. ٧-الحد من التأثير على السياسة الاجتماعية التي تمارسها الحكومة الاتحادية بوضع شروط على مساهمتها المالية. ٨-الموافقة على مبدأ الحكم الذاتي للسكان الاصليين. Ben Smith, Op,Cit, P10-11.

[2] Francois Yalea, Op,Cit, 243.

[3] Andre Lecours, Op, Cit, P10-11.

[4] Andre Lecours, Op,Cit, P11.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

كل بيت في كيبيك، تضمن مشروع القانون في ديباجته إعلاناً لسيادة كيبيك، والتي بدأت "لقد حان الوقت لحصاد حقول التأريخ، لقد حان الوقت أخيراً لحصاد ما تم زرعه لنا بأربع مئة سنة من الرجال والنساء والشجاعة، متجذرة في التربة وعادت الآن اليها، لقد حان الوقت بالنسبة لنا..." وخلصت الديباجة إلى: "نحن، شعب كيبيك، من خلال جمعيتنا الوطنية، نعلن: إن كيبيك هي دولة ذات سيادة"[١].

تمت مناقشة مشروع القانون، ولكن لم يتم تمرير مشروع القانون والسيادة المعلنة، لأن الحكومة كانت تخطط للانتظار حتى يتم اجراء الاستفتاء، فإذا حصل الاستفتاء وكانت النتيجة التصويت لصالح "نعم"، عندها يتم تمرير مشروع القانون والسيادة المعلنة، وقد طلب من الحكومة ان تشرع في الأمر عند إجراء الاستفتاء، بحلول موعد استفتاء عام ١٩٩٥، تم تعديل قانون الاستفتاء، والذي كان من المقرر أن يتم اجراء الاستفتاء عليه، بحلول عام ١٩٩٥، نص القانون على انه لايمكن إصدار الأمر إلا بعد مرور (١٨) يوماً على الأقل من اتخاذ الجمعية الوطنية قرار الاستفتاء، أتاح هذا الوقت لهيئة الانتخابات العامة فرصة لتعداد الناخبين قبل إصدار أمر الاستفتاء[٢].

كانت الاستراتيجية العامة لحملة "نعم" تتضمن[٣]:

١-ينادي مشاعر الكويبيكيين للتضامن الوطني.

٢-التأكيد على ان النظام الفدرالي الحالي غير ملائم لكيبوبيك.

٣-اقناع الناخبين بان الشراكة المقترحة مع بقية مقاطعات كندا تحمي عدم الاستقرار الاقتصادي والعزلة السياسية.

وكان المؤيدون للاستقلال يؤكدون على الدوام على مسألة استمرار العلاقة الوثيقة مع بقية كندا. وكان جاك باريزو زعيم حزب (PQ) قد خطط لإصدار قانون السيادة، ثم يطلب من الناخبين في الاستفتاء "هل تؤيد القانون الذي اصدرته الجمعية الوطنية بشأن إعلان سيادة كيبيك؟ بـ"نعم " أو "لا"، إلا ان "لوسيان بوشار" زعيم كتلة (كيبكوا(في البرلمان الفدرالي، كان يشكك في هذه

[1] Ben Smith, Op, Cit, P12.
[2] Ibid , Op, Cit, P12.
[3] Ibid , Op, Cit, P13.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

الخطة، واعتقد بوشار ان مقترحات باريزو سيؤدي إلى إبعاد القوميين و يساعد الفدراليين في شن حملات حول الاضطراب الذي سينتج عن الانفصال، وبعد مداخلات الاحزاب الكيبيكية الاخرى، وافق باريزو على تغيير المسألة إلى عرض الشراكة الاقتصادية والسياسية مع بقية كندا، وقدمت حكومة كيبيك مشروع قانون بعنوان " Bill 1 an act the respecting the future of quebec"، وبالتالي فان مشروع القانون الاول لم يعد له وجود سوى في النقطة المتعلقة بالتفاوض على الارتباط الاقتصادي مع بقية كندا، وتضمن المشروع الجديد النقاط التالية:

١-سيتمكن المتقاعدون من الحصول على الجنسية الكيبيكية، بالتزامن مع الجنسية الكندية.

٢-سيستخدم كيبيك الدولار الكندي.

٣-ستتفاوض كيبيك على حصة عادلة من ديون كندا.

٤-ستقوم كيبيك بالانضمام إلى الامم المتحدة، ومنظمة حلف شمال الاطلسي (الناتو)، ومنظمة التجارة العالمية.

٥-ستتحمل كيبيك التزاماتها وتتمتع بالحقوق المنصوص عليها في جميع المعاهدات التي ابرمتها الحكومة الكندية.

وافق لوسيان بوشار على الاقتراح، وتم الاتفاق على تحقيق رغبة كويبكرز في الحفاظ على علاقات عادلة ومرنة مع الكنديين، واقترح بعض المؤيدين للسيادة مواصلة استخدام جوازات السفر الكندية، إلا ان هذا يبدو بعيد الاحتمال، لان جوازات السفر الكندية مزينة بالشارات الملكية.

ركزت حملة "لا" للانفصال على ان الانفصال سيؤدي إلى الاضطراب، لذلك كانوا يؤيدون بعض الاصلاحات الدستورية، كما اشتكوا من إن صياغة السؤال و خاصة عبارة "الاتفاقية الموقعة في ١٢ يونيو ١٩٩٥ "قد تعني ضمناً ان الشراكة الاقتصادية والسياسية الجديدة قد تم تأمينها بطريقة ما، وكانت استطلاعات الرأي حول صياغة السؤال تؤيد ادعاءات الفدراليين حول صياغة السؤال[1].

[1] اظهر استطلاع للراي اجري قبل ثلاثة أسابيع من التصويت ان (٢٨%) من الناخبين الذين لم يحددوا رأيهم يعتقدون بان التصويت بنعم ببساطة يعني التفاوض على اتفاق افضل داخل النظام الفدرالي، كما أشر إلى ان حوالي (٥٣%) من الذين يؤيدون السيادة يعتقدون ان السيادة لاتعني الفصل عن بقية كدا، كما وجدت الاستطلاعات انه إذا استخدمت كلمة "السيادة" في السؤال وليس "الاستقلال"، فان الاجابة الايجابية على السؤال

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وفي اللحظة الاخيرة من الحملة، قرر معسكر "نعم" عرض للاصلاح الدستوري إذا كانت نتيجة الاستفتاء لصالح "لا"، وفي ٢٥ اكتوبر في خطاب متلفز، قال جان كريتيان انه يجب ان تقبل بمطالب كيبيك الأساسية، خارج نطاق السيادة: يجب ان تعترف بان اللغة الكيبيكية و ثقافتها و مؤسساتها تكون مجتمع متميز، وانه يجب أن لايجرى أي تعديل دستوري يؤثر على صلاحيات كيبيك بدون موافقتها، وإن جميع الحكومات (الفدرالية والاقليمية) يجب ان تستجيب لرغبة الكنديين من أجل زيادة اللامركزية[١].

وقبل إجراء الاستفتاء قامت حكومة كيبيك باصلاحات في إجراءات تسجيل الناخبين، كان الغرض منه هو لتوفير الثقة بالسجل الانتخابي، كما قدم مشروع قانون إلى الجمعية الوطنية ينص على إنشاء سجل الكتروني دائم، وإبعاد الشكوك حول النظام الجديد بسبب توقيته، إذ جاء قبل الاستفتاء مباشرة، وكان الغرض الأساسي من النظام الجديد التركيز على الأفراد لتسجيل انفسهم، وشكك الفدراليون في النظام الجديد، لانه وفقاً للنظام الجديد من غير المرجح أن يسجل المهاجرون الجدد انفسهم.

وأجري الاستفتاء، وكان السؤال الموجه إلى الناخبين هو كالآتي:

هل توافق على ان تصبح كيبيك ذات سيادة، بعد أن قدمت عرضاً رسمياً لكندا من أجل شراكة اقتصادية و سياسية جديدة، في نطاق مشروع القانون الذي يحترم مستقبل كيبيك والاتفاقية الموقعة في ١٢ يونيو ١٩٩٥؟

أعرب معارضو الانفصال استيائهم من صياغة السؤال، ولم يكن هناك أي محاولة من جانب الحكومة الاتحادية، قبل اجراء الاستفتاء، لمناقشة صياغة السؤال وحول عدم شرعيتها، بالطبع تمت صياغة السؤال بهذا الشكل لزيادة فرص "نعم" بالفوز[٢].

سيرتفع (٥%)، وإذا تم عكس اسؤال الاستطلاع وتم سؤال المستفتيين عما إذا كانوا يرغبون في البقاء في كندا، قال (٥٩%) نعم، كما أشار استطلاع للرأي في عام ١٩٩٤ ان (٧١%) من السياديين يريدون البقاء جزءأ من الاتحاد الكندي، وأشار استطلاع آخر، إلا ان (٦٢%) من طلاب كيبيك يعتقدون انهم سيستخدمون الولار الكندي بعد التصويت بنعم، واعتقد (٤٥%) انهم سيكونون قادرين على استخدام جوازات السفر الكندية و (٦٩%) اعتقدوا انه سيكون هناك اتحاد اقتصادي مع بقية كندا. Ben Smith, Op, Cit, P15.

[1] Ibid , Op,Cit, P16.

[2] Andre Lecours, Op,Cit, P12.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وكانت النتائج كالآتي:

نعم	٢ر٣٠٨ر٣٦٠	%٤٩ر٤٢
لا	٢ر٣٦٢ر٦٤٨	%٥٠ر٥٨

وبلغت نسبة المشاركة (٥٢ر٩٣%)[١].

ربما كان الخوف من الاضطراب الاقتصادي والعزلة السياسية هو العقبة الرئيسية أمام التصويت بـ"نعم".

استفاد كيبيك من اجراء استفتاء عام ١٩٨٠، باعتبارها سابقة مهمة، من شأنها أن تجعل من الصعب على الحكومة الفدرالية ان تتحدى شرعية التصويت على الاستقلال وذلك بعد مرور ١٥ سنة على الاستفتاء الاول، ان الفرق بين عمليتي الاستفتاء في ١٩٩٥ و ١٩٨٠ هو انه في عام ١٩٩٥ تم التخلي عن استراتيجية "النهج التدريجي"، لانه من المفترض ان حكومة (PQ) قد منحت ولاية التفاوض على التسوية النهائية للانفصال عن كندا[٢].

عادت مسألة كيبيك إلى الظهور في عام ١٩٩٦ حول ما إذا كان على كندا بأكملها أن يكون لها رأي في استقلال كيبيك أو غيره، أثارت حكومة جان كريتيان الليبرالية احتمال اجراء استفتاء وطني على كيبيك، ثم تراجعت عن الفكرة، واقترحت أيضاً إجراء انتخابات عامة مبكرة مع

[١] أشار تقرير مستقل نشر في عام ١٩٩٦ من قبل جامعة (ماكجيل) إلى انه كان هناك تزوير في استفتاء عام ١٩٩٥، وذلك لوجود بطاقات اقتراح عليها ملاحظات وبأعداد كبيرة ومع ذلك لم يتم رفضها، ووجد تقرير رمسي لاحق اصدره المديرية العامة لانتخابات كيبيك، نشر أيضاً في عام ١٩٩٦، إلى انه لم تكن هناك أية خطة على المستوى المقاطعات للقيام بالتزوير المنظم، على الرغم من انها ابلغت بوجود مخالفات بمبادرة من المندوبين التابعين لحملة نعم، ووجد المدير العام ان مؤيدي حملة "لا" قد خالفوا أحكام قانون الاستفتاء بتكبدهم نفقات منظمة في انتهاك للقواعد المعمول بها في كيبيك، وتم الشروع في اتخاذ اجراء قانوني ضد (١٨) شخصاً، بعضهم في الداخل و بعضهم خارج كيبيك، ولكن تم اسقاط تلك التهم عليهم بعد ان ابطل المحكمة العليا تلك الاحكام في قانون الاستفتاء الذي استندت اليه الاجراءات القانونية، كما وجد تحقيق منفصل نشر نتائجه في عام ٢٠٠٧ ان حملة "لا" انتهكت قواعد الحملة الاستفتائية وذلك باستخدام اموال غير مصرح بها تصل إلى (٥٣٩٠٠٠) دولار، كما اجري تحقيق آخر واسع النطاق بشأن الفساد، وأشار التقرير إلى ان حزب الليبرالي الكيبيكي صرف الآف الدولارات من الأموال غير المعروفة في استفتاء عام ١٩٩٥، وذلك لشراء مساحات اعلانية ملصقة لحملة "لا" و استئجار حراس لمنع تلك الملصقات من التعرض للتخريب.- Ben Smith, Op,Cit, P22-23. Jure Vidmar, Op,Cit, P204.

[2] Andre Lecours, Op,Cit, P12-13.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

كيبيك كوسيلة لتسوية المسألة، تم تمرير اقتراح في مجلس العموم الكندي في ديسمبر عام ١٩٩٥ معترفاً بوضع كيبيك كمجتمع متميز داخل كندا، وفي فبراير من العام التالي، حصل القانون الذي يمنح حق النقض الاقليمي على التعديلات الدستورية على الموافقة الملكية[١].

وفي استطلاع للرأي بين عامي ١٩٩٨ و ٢٠٠٣ كان ٤٩ في المائة من الكيوبيكيين يعتقدون ان الفدرالية الكندية لديها مزايا أكثر من عيوب، وأيد ٤١ بالمائة من الكيوبيكيين فدرالية جديدة، وأعلن (٣%) في المائة انهم يؤيدون "السيادة –الشراكة" مع كندا، وأيد ١٦ بالمائة الوضع الراهن، في حين ٨ في المائة فقط يؤيدون الاستقلال التام، وإذا تم اجراء استفتاء على السيادة والشراكة في سبتمبر ٢٠٠٣، فان (٤٧ بالمائة) سيصوتون بـ"نعم" و (٥٣ بالمائة) بـ"لا"، وعندما سئلت كيف سيصوتون في استفتاء لم يذكر فيه كلمة "الشراكة" بل سئل ببساطة "هل تريد لكيبيك أن تصبح دولة ذات سيادة؟"، (٣٨ بالمائة) أجاب بـ"نعم"، و (٥٤ بالمائة) اجاب بـ"لا"، و (٨ بالمائة) لم يقرروا بعد[٢].

وهناك نتائج اخرى توصل اليها (Portraits of Canada) حول الاختيار المفضل لدى الكيبيكيين[٣]:

تجدد الفدرالية	%٤١	انخفاض ٣ نقاط عن عام ١٩٩٩
شراكة السيادة	%٣٠	بزيادة ٤ نقاط عن عام ١٩٩٩
البقاء على الوضع الراهن	%١٦	بزيادة ٣ نقاط عن عام ١٩٩٩
الاستقلال التام	%٨	بانخفاض نقطتين عن عام ١٩٩٩

وارتفع دعم السيادة والشراكة بثبات منذ ٢٠٠٤، وتم اجراء استطلاع رأي جديد من قبل (CROP-La Presse) في يوليو عام ٢٠٠٥، يظهر بأن (٥٥) بالمائة من سكان كيبيك سيصوتون بنعم في الاستفتاء حول السيادة-الشراكة، مما يشير إلى تسجيل تأريخي منذ استفتاء عام ١٩٩٥[٤].

[1] Jure Vidmar,Op,Cit, P205, Ben Smith, Op,Cit, P22.

[2] Montserrat Guibernau, National identity, Devolution and secession in Canada, Britain and spain, Nations and nationalism, 12(1), 2006, P10.

[3] Ibid , P10

[4] Ibid , P11.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

المبحث الثاني

فتوى المحكمة العليا الكندية بشأن الانفصال

اجرت كيبيك استفتاءين بشأن الانفصال في عامي ١٩٨٠ و ١٩٩٥، وفي كلا الاستفتائين صوت الناخبون، بفارق ضئيل لاجل البقاء داخل كندا.

طلبت الحكومة الكندية من المحكمة العليا، بيان رأيها بشأن مشروعية انفصال كيبيك من جانب واحد، وتضمن الطلب من المحكمة الاجابة على ثلاثة اسئلة:

١-بموجب الدستور الكندي، هل يمكن للجمعية الوطنية والسلطة التشريعية أو حكومة كيبيك إحداث انفصال كيبيك من كندا من جانب واحد.

٢-هل يمنح القانون الدولي الجمعية الوطنية، والسلطة التشريعية، أو حكومة كيبيك الحق في إحداث انفصال كيبيك من كندا من جانب واحد؟ وفي هذا الصدد هل ان حق تقرير المصير بموجب القانون الدولي، من شأنه أن يمنح الجمعية الوطنية والسلطة التشريعية، أو حكومة كيبيك الحق في إحداث إنفصال كيبيك من كندا من جانب واحد؟

٣-في حالة وجود تعارض بين القانون الدولي والمحلي، حول سلطة الجمعية الوطنية والسلطة التشريعية أو الحكومة بشأن إنفصال كيبيك عن كندا من جانب واحد، أيهما له الاسبقية في التطبيق في كندا؟

إن استنتاج المحكمة حول هذه الأسئلة الثلاث يتضمن إرشادات هامة حول موقف القانون الدولي فيما يتعلق بالانفصال الانفرادي، وحدود حق تقرير المصير ومباديء الديمقراطية التي تعمل ضمن نطاق هذا الحق[1].

وفي ٢٠ اغسطس ١٩٩٨، اصدرت المحكمة العليا الكندية قراراً بشأن مشروعية انفصال كيبيك من جانب واحد.

ان بعض المنازعات الدستورية بطبيعتها غير قابلة للتقاضي، وهي بالتالي يكون خارج نطاق الأحكام الدستورية، لأنها سياسية في جوهرها[1].

[1] Jure Vidmar, Op,Cit, P205.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

في البداية أثارت المحكمة مسألة اختصاصها في النظر في تلك الدعاوي، وهل لديها سلطة إصدار آراء استشارية و ما إذا كان بامكان المحكمة إصدار رأي بشأن هذه المسألة بالذات، وذلك نظراً للانعكاسات السياسية والدولية لتلك القضية، وبعد تدقيق الأحكام والنصوص الدستورية، خلصت المحكمة إلى انه ليس لديها سلطة إصدار الفتاوي فحسب، بل ان من واجبها فعل ذلك، و قررت المحكمة ان لديها سلطة اصدار فتاوي بشأن "المسائل القانونية التي تتعلق بمستقبل الاتحاد الكندي"، وبالتالي فان لديها سلطة إصدار رأيها في هذه القضية، ولان الانفصال يتعلق بمستقبل كندا، فانه يجب على المحكمة ان تجيب على السؤال المتعلق بالانفصال بموجب القانون الكندي[٢].

أجابت المحكمة على السؤال الاول والثاني بالنفي، وهذا يعني ان السؤال الثالث لايحتاج إلى الاجابة[٣].

حيث وجدت المحكمة ان الاستفتاء لايمنح كيبيك الحق في الانفصال من جانب واحد، ولكن أيضاً لايمكن تجاهل تعبير "الأغلبية الواضحة" لتعبير ارادة الكيبيكيين للانفصال عن كندا، وبموجب الدستور، لاتستطيع كيبيك الاستناد على حق تقرير المصير لأملاء شروط الانفصال المقترح على الاطراف الاخرى في الاتحاد حتى ولو كانت نتيجة الاستفتاء واضحة[٤].

لان التصويت الديمقراطي، بأغلبية واضحة، لن يكون له أي تأثير قانوني من تلقاء نفسه، ولايمكنه ان يتجاوز مباديء الفدرالية و سيادة القانون وحقوق الأفراد و الأقليات، ولايمكن فصل الحقوق الديمقراطية بموجب الدستور عن الالتزامات الدستورية الاخرى، إلا ان النظام الدستوري الكندي لايمكنه أن يستمر في اغفال "التعبير الواضح" لسكان كيبيك إن لم يعد يرغبون في البقاء

[1] Sujit Choudhry, Constitutional theory and quebec secession reference, Canadian journal of law and jurisprudence, Vol 13, No2, 2000, P145.

[2] Roya M.Hanna, Right to self- determination in re secession of quebec, Maryland journal of international law, Vol 23, Iss.1 (1999), P216.

[3] Peter Radan, Constitutional law and secession, The case of Quebec, 1998(2) macarthur, Law review 4, 2Macarthar law review 69, P69.

[4] Ben Smith, Op,Cit, P217.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

في كندا. وبالنسبة للسؤال الثاني، فان القانون الدولي لايسمح بحق الانفصال إلا بالنسبة للشعوب المضطهدة أو المستعمرة وهو ما لاينطبق على الشعب الكيبيكي وفقاً لقرار المحكمة.

إن رد المحكمة على السؤال الاول، حول حق الانفصال "بموجب دستور كندا" لم يكن واضحاً تماماً، ولم تتعرض للقواعد الدستورية القابلة للنقاش، بعد تناول بعض المسائل القضائية الاولية، أشار إلى "المباديء الأساسية" للدستور.

وسنتناول حيثيات الفتوى بشيء من التفصيل من خلال مطلبين، نخصص المطلب الاول لدراسة حجج المحكمة ضد الانفصال من جانب واحد، أما المطلب الثاني فنخصصه لدراسة إمكانية الانفصال من جانب واحد.

المطلب الاول

حجج المحكمة ضد الانفصال من جانب واحد

شددت المحكمة في قرارها على "المباديء الاساسية الاربعة في الدستور"، وهذه المباديء هي "الفدرالية والديمقراطية وسيادة الدستور والقانون و احترام الاقليات"، وهذه المباديء هي التي تحدد التعايش، وإن هذه المباديء مرتبطة ببعضها البعض ولايمكن تجزئتها، و بموجب القانون الدستوري الكندي، فان الانفصال بموجب هذه المباديء يستوجب التفاوض على تعديل الدستور الكندي[1].

وأشار قرار المحكمة إلى:

١-الفدرالية: لاحظت المحكمة ان وجود كيبيك كمجموعة فريدة ثقافياً كان أحد الأسباب الرئيسية لتشكيل النظام الفدرالي، وقد تشكلت كندا في الأصل من خلال دمج مقاطعات كندا الغربية (اوتاريو)، و كندا الشرقية (كيبيك) والمقاطعات البحرية، أرادت كل منطقة الحفاظ على قدر معين من الاستقلالية، وطلبت مقاطعة كيبيك الحصول على ضمانات لحماية ثقافتها ولغتها الفرنسية وتم منح سلطات واسعة لحكومات المقاطعات من اجل استيعاب المصالح المتنوعة[2].

[1] Florenta Harbo, Secession right- an anti- federal principle?comparative study of federal states and the EU, Journal of politics and law,Vol1, No3, September, 2008, P138.

[2] Roya M.Hanna, Op,Cit, P218.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وأشارت المحكمة بهذا الصدد: "مبدأ الفدرالية يعترف بتنوع الاجزاء المكونة للاتحاد، واستقلال حكومات المقاطعات لتنمية مجتمعاتها بالاستقلال، ان درجة الاستقلالية التي تتمتع بها المقاطعات في كندا تمنح الحق في التطور ثقافياً و سياسياً، ولكن الحق في التطور الثقافي والسياسي لايمنح الحق في الانفصال[1].

٢-الديمقرطية: تناولت المحكمة العليا مسألة الانفصال من وجهة نظر الشرعية التي يمكن أن تضفيها الاستفتاءات الاقليمية، ويتعين على المحكمة العليا بالضرورة تحقيق ضمان التوازن بين المصالح التنافسية وفقاً للمنظور الدستوري، وبالتالي يتم تحليل الاستفتاءات الاقليمية وفقاً لهذا المستوى، في الفقرة (١٥١) ذكرت المحكمة: "بموجب الدستور لايمكن فصل الحقوق الديمقراطية عن الالتزامات الدستورية، ولايمكن قبول الاقتراح العكسي، ولايمكن أن يكون استمرار وجود النظام الدستوري الكندي و تطبيقه غير مبال بالتعبير الواضح عن أغلبية واضحة من سكان كيبيك، إن لم يعودوا يرغبون في البقاء في كندا، ولن يكون للمقاطعات الاخرى والحكومة الفيدرالية أي أساس لإنكار حق حكومة كيبيك"، فالتصويت الديمقراطي في حد ذاته لايمكن أن يتجاوز مباديء سيادة القانون والفيدرالية و أجهزة الدولة وفقاً للولاية الدستورية[2].

ان الديمقراطية تعني مشاركة المواطنين في الحكم من خلال المشاركة السياسية، و أشارت المحكمة إلى ا ن "الديمقراطية هي عموماً نظام سياسي لحكم الاغلبية"، و أوضحت المحكمة انه نظراً لأن كندا تبنت النظام الفدرالي، فقد يكون هناك اغلبيات مختلفة على مستويات مختلفة من الحكومة، ويجب احترام رغبة الأغلبية، على مستوى المقاطعات والمستوى الاتحادي، وفي النظام الديمقراطي هناك نقاش متواصل حول "لزوم التوصل إلى حل وسط، والتفاوض والمناقشة"، ويجب الاعتراف بالاصوات المعارضة و يجب النظر إلى مخاوفهم في إطار النظام الديمقراطي الذي يعيش فيه، وأشارت المحكمة ان "شرعية القرارات الحكومية تستند إلى التفاعل بين رغبة الأغلبية و سيادة القانون"، ولكي تكون المؤسسة الديمقراطية مشروعة يجب أن تكون اعمالها متفقة مع القانون والقيم الأخلاقية التي تتضمنها البنية الدستورية الكندية[3].

---

[1] Roya M.Hanna, Op,Cit, P218.

[2] Lindi Giulia, Op,Cit, P148.

[3] Roya M.Hanna, Op,Cit, P218.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

و أشارت المحكمة في قرارها إلى ان "المبدأ الديمقراطي ....يتطلب اعطاء أهمية كبيرة للتعبير الواضح من قبل شعب كيبيك لارادتهم في الانفصال عن كندا، على الرغم من ان الاستفتاء في حد ذاته.....ليس له أي تأثير قانوني مباشر، ولايمكنه في حد ذاته إحداث انفصال آحادي الجانب"[1].

وبموجب رأي المحكمة العليا فان المباديء الديمقراطية لاتتغلب على المباديء الاخرى، إذ انه في سياق القانون الدستوري الكندي تم تحديد المباديء التالية: الفدرالية، الديمقراطية، الدستورية، سيادة القانون و إحترام الأقليات، ولاحظت المحكمة ان مبدأ الديمقراطية ليس مبدأ مطلقاً و "لايمكن الاحتجاج به" في مواجهة المباديء الدستورية الاخرى[2].

٣-مبدأ الدستورية و سيادة القانون: يمثل الدستور الكندي أساس جميع القوانين الكندية، و "ان اي قانون يتعارض مع أحكام الدستور، وفي حدود عدم التناسق، لن يكون له قوة أو تأثير"، ويلزم الدستور جميع الحكومات، الفدرالية والاقليمية بالتقيد.

ورأت المحكمة ان الدستور ليس موضوعاً خاضعاً لحكم الأغلبية لثلاثة أسباب:

١-لانه ضمان للحقوق والحريات الأساسية.

٢-لانه ضمان لحصول الأقليات على "الحقوق اللازمة للحفاظ على هويتها وتعزيزها في مواجهة الضغوط الاستيعابية.

٣-لحماية مختلف مستويات الحكومة من قبل المستويات الاخرى[3].

ويمكن ملاحظة ان المبدأ الذي يقوم عليه تحليل المحكمة هو مبدأ الديمقراطية، وبالنسبة للحزب المؤيد للانفصال، فكرة الديمقراطية تعني انه في حال تصويت غالبية سكان كيبيك لصالح الانفصال، فان دولة الام ملزمة بالاعتراف بشرعيتها، على النقيض من ذلك فان تفسير الديمقراطية الذي تقدمت به المحكمة العليا يتجاوز المعادلة بين الديمقراطية والتصويت بالأغلبية، يجب ان تكون الديمقراطية متوازنة مع الطبيعة الفيدرالية لدولة كندا، ومع ذلك لايمكن تجاهل الاغلبية الواضحة من الأصوات لصالح الانفصال إذ تؤدي إلى واجب التفاوض[4].

---

[1] Jure Vidmar, Op,Cit, P205.

[2] Ibid , P206.

[3] Roya M.Hanna, Op,Cit, P219.

[4] Lindi Giulia, Op,Cit,P150.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وقالت المحكمة "من الواضح ان "الشعب"، يمكن أن يشمل جزء من السكان في الدولة القائمة". أقرت المحكمة ان معظم سكان كيبيك يتمتعون بخصائص الشعب، ومع ذلك، قررت المحكمة انه "ليس من الضروري استكشاف هذا التوصيف القانوني لحل المسألة بشكل مناسب"، وفقاً لقرار المحكمة فانه حتى إذا كانت كيبيك تعتبر شعباً، فهذا في حد ذاته لايمنحهم الحق في انفصال من جانب واحد عن كندا. وعلى الرغم من ان سكان كيبيك يشتركون في العديد من خصائص الشعب، ومن هنا لابد من تحديد مسألة "الشعب"، وحتى في حالة لو افترضنا وصف "الشعب" على سكان كيبيك، إلا ان حق الانفصال بموجب مبدأ تقرير المصير في القانون الدولي يقتصر على الشعوب الخاضعة للاستعمار أو الهيمنة أو الاستغلال الاجنبي أو عندما تحرم من ممارسة حقها في تقرير المصير الداخلي[1].

لذلك فان المفاوضات تخضع لشروط "مباديء الفدرالية، والديمقراطية، و سيادة الدستور والقانون، و حماية الاقليات".

ان مجرد الاقرار بان الدستور الكندي غير عادل بما فيه الكفاية في مقابل كيبك للتحقق من صحة الانفصال العلاجي ليس كافياً، بل يجب على كيبيك ان تثبت على ان التقسيم والانفصال هو علاج ضروري لانهاء الظلم[2].

وبعد أن قررت المحكمة انه لايوجد أي حق لكيوبيك في الانفصال من جانب واحد بموجب القانون الكندي، وجهت انتباهها إلى الانفصال بموجب القانون الدولي، و أكدت المحكمة إلى انه "من الواضح ان القانون الدولي لايمنح الاجزاء (الاقاليم) المكونة في دولة ذات السيادة الحق القانوني بالانفصال من جانب واحد عن دولة الام"، كما أشارت إلى انه لايوجد أي حكم ينص صراحة على إنكار الحق في الانفصال[3].

كما أشارت المحكمة إلى ان "القانون الدولي يولي أهمية كبيرة للسلامة الاقليمية للدول، ويترك إلى حد كبير إنشاء الدولة الجديدة إلى القانون المحلي للدولة القائمة التي يشكل الكيان الانفصالي

[1] Ben Smith, Op,Cit, P27.

[2] Gregory millard, Secession and self quebec in Canadian thought, mcgill-queens university press 2008, Montreal and kigston, London,Ithaca,, P97.

[3] Roya M.Hanna, Op,Cit, P221.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

جزءاً منها في الوقت الحاضر"، وقررت بما ان انفصال كيبيك سيكون مخالفاً للدستور والقوانين الكندية، فمن المحتمل ان يقبل القانون الدولي استنتاج المحكمة ما لم يكن ذلك مخالفاً لحق تقرير المصير[1].

واشارت إلى ان هذه الاتفاقيات غير قابلة للتطبيق في وضع (كندا/ كيبيك) والاتفاقيات الاربعة التي أشارت اليها المحكمة هي "ميثاق الامم المتحدة، العهد الدولي للحقوق الاقتصادية والاجتماعية والثقافية، واعلان الجمعية العامة للامم المتحدة حول مباديء القانون الدولي المتعلقة بالعلاقات الودية، واتفاقية هلسنكي".

كما شددت المحكمة على العلاقة بين تقرير المصير ومبدأ السلامة الاقليمية، ووفقاً لحكم المحكمة، فان هذه المباديء مترابطة ارتباطاً وثيقاً، كما ان ممارسة تقرير المصير مقيدة بسبب وجود مبدأ السلامة الاقليمية للدولة، وجاء في الحكم "يتوقع القانون الدولي أن يمارس حق تقرير المصير من قبل الشعوب في اطار الدول القائمة ذات السيادة، مع الحفاظ على السلامة الاقليمية لتلك الدول"[2].

وأشارت إلى ان مصادر القانون الدولي المعترف بها تقرر ان حق تقرير المصير لشعب ما يتم تحقيقه عادة من خلال تقرير المصير الذاتي، وهو سعي الشعب لتطوره السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي في إطار الدولة القائمة[3].

وبموجب القانون الدولي ان الدولة التي تمثل حكومتها جميع الأشخاص أو الشعوب المقيمة في أراضيها على أساس المساواة و دون تمييز وتحترم مباديء تقرير المصير وترتيباتها الداخلية الخاصة، يحق لها الحماية بموجب القانون الدولي لسلامتها الاقليمية، وكأساس لهذا التأكيد استشهدت المحكمة باعلان العلاقات الودية و اعلان فيينا.

وبناء عليه اعلنت المحكمة تقرير المصير الداخلي، كأحد أبعاد هذا الحق المقبولة عموماً لدى المجتمع الدولي، ولكن أضافت إلى انه "في ظل الظروف الاستثنائية قد ينشأ حق الانفصال، كما

[1] Ibid , P222.
[2] Rokas Levinskas, Op,Cit,P19.
[3] Jure Vidmar, Op,Cit,P44.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

أشارت المحكمة ان عدداً من الفقهاء القانونيين، قد اعترفوا بمثال آخر محتمل لتقرير المصير الخارجي، وهو الانفصال في حالة الحرمان من حق تقرير المصير الداخلي"[١].

أي ان الحق في تقرير المصير الخارجي "الذي من المحتمل أن يتخذ في هذه الحالة شكل التأكيد على الحق في الانفصال الانفرادي، لاينشأ إلا في اقصى الحالات وفي ظل ظروف محددة بدقة"[٢].

أثارت المحكمة القضايا المتعلقة بالجانب الخارجي لحق تقرير المصير، لان أسباب تقرير المصير الخارجي هو: السياق الاستعماري، وإنهاء الهيمنة الخارجية وقبلت المحكمة الطرف الثالث.

وانه من المتفق عليه ان القانون الدولي لايعتبر كيبيك لا من قريب و لا من بعيد، من حالات الاستعمار أو الحالات المشابهة لها من الهيمنة الخارجية، حتى يكون لها حق الانفصال العلاجي[٣].

وذكرت المحكمة في حكمها ".....عندما يتم حرمان الشعب من ممارسة حقه في تقرير المصير الداخلي، فيحق له كملاذ أخير، أن يمارس الانفصال". وذكرت أيضاً انه في الحالة الراهنة لاتتوفر معايير الحق في الانفصال العلاجي، وذلك لان "سكان كيبيك ممثلون بشكل عادل في المؤسسات التشريعية، والتنفيذية والقضائية". ويمكن القول بان انتهاك الحقوق القانونية للشعوب الاصيلة، سيولد الحق في الانفصال العلاجي[٤].

وأشارت ال فتوى إلى ان كندا هي "دولة مستقلة ذات سيادة تتصرف وفقاً لمبدأ المساواة في الحقوق و تقرير المصير للشعوب"، فان رغبة الشعب الكيبيكي ليست مبررة أمام القانون الدولي، ولاتؤيد المحكمة فكرة الانفصال الانفرادي، بل تؤيد الانفصال المتفاوض عليه[٥].

ويحق للكيبيكيين أن ينفصلوا بسبب حرمانهم من الوصول إلى الحكومة، وخلصت المحكمة في نهاية المطاف إلى انه بما ان لديها إمكانية الوصول إلى الحكومة، فهي لاتملك حق الانفصال، وأشارت المحكمة ان كندا، كدولة ديمقراطية تكفل لجميع المواطنين الحق في المشاركة في الحكومة، وأشارت المحكمة إلى أمثلة عديدة تشير إلى ان كيبيك قد اتيحت لها إمكانية الوصول

[1] Rokas Levinski, Op,Cit,P19.
[2] Jure Vidmar,Op,Cit,P44.
[3] Anne F.Bayefsky, Self-determination in international law, Quebec and lessons learned, York university, Toronto, Canada, 2000, P166.
[4] Gregory Millard, Op,Cit, P97.
[5] Lindi Giulia, Op,Cit, P147.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

إلى الحكومة، واستلمت مناصب بارزة في الحكومة الكندية، ووفقاً للمحكمة تشير هذه الحقائق إلى ان "شعب كيبيك ليس بشكل واضح ...شعب مضطهد"، واستنتجت المحكمة ان حق تقرير المصير في القانون الدولي في أفضل الأحوال لايعني الحق في تقرير المصير الخارجي"[1]. إذ لايمكن لشعب كيبيك أن يدعي انه ليس لديهم إمكانية الوصول إلى الحكومة، أو لايستطيعون متابعة تنميتهم الاجتماعية والاقتصادية في مناطقهم، أو دولة كندا بأكملها[2].

ان الفقرة الاعلاه تشير إلى اعتراف المحكمة بوجود الانفصال العلاجي، ولكن بعد هذا الاعتراف، واصلت المحكمة انه "لايزال من غير الواضح ما إذا كان الطرف الثالث يعكس في الواقع معياراً قانونياً دولياً ثابتاً"، وهذا ما يقلل من القيمة التي يمكن ان تكون لها هذه الفقرة من القرار.

ويبدو ان موقف المحكمة، هي اعادة التأكيد على الوضع السائد بين فقهاء القانون أكثر من الاعتراف بوجود قاعدة ملزمة[3].

ويرى يوري فيدمار، ان التعليق الذي قدمته المحكمة حول الانفصال العلاجي لايتعلق بموضوع القضية، ولم يكن ضرورياً للقرار تناوله، وبالتالي فهو غير ملزم[4].

المطلب الثاني

إمكانية الانفصال من جانب واحد

ومن ناحية اخرى تعترف المحكمة انه بما ان الدستور يمنح الحقوق الديمقراطية للفرد، "لايمكن ان يكون النظام الدستوري غير مبال بالاستفتاء"، ولاترى المحكمة ان الاستفتاء الزامي بهدف الانفصال، لكن بالنظر إلى إن تنفيذ الحقوق الديمقراطية له أهمية أساسية في النظام القانوني، تقر المحكمة ان الاستفتاء هو الخيار الأكثر فاعلية إذا كانت الوحدة الاقليمية تريد الاستماع اليها، وفي ضوء ما تقدم، لايبدو من المستحيل ان ندعي ان المحكمة تتصور التزاماً قانونياً، وذلك

[1] Roya M.Hanna, Op,Cit, P224-225.
[2] Lindi Giulia, Op,Cit, P147.
[3] Rokas Levineski, Whether there is aright to remedial secession under international law? Magistro baigramasis darbas, Vytuto didziojo universitetas, Kaunas, 2018,P19-20.
[4] Sopio Asatiani, Remedial Secession under international law; Analysis of Kosovo, Abkhazia and south Ossetia, Central European university, LL.M human rights thesis, 2013,P37.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

بالاشارة صراحة إلى "الالتزامات المتبادلة"، للتفاوض على تسوية في المستقبل، وتمنح المحكمة القيمة القانونية للاستفتاءات الاقليمية، بمعنى آخر، على الرغم من انه لايقول ان الاستفتاء بحد ذاته يضفي الشرعية على الانفصال، فان المحكمة ترفع الحجة إلى المستوى التالي: شريطة أن يكون التصويت على الانفصال "خالياً من الغموض سواء من حيث السؤال المطروح أو من حيث الدعم المطلوب لنجاحه"، فالتصويت يفرض على الاطراف واجب الدخول في المفاوضات، وفقاً للمحكمة، ان الاستفتاء الاقليمي هو الخطوة الاولى من عملية التفاوض التي سيتم اجراؤها وفقاً للدستور باشتراك الكيان المنفصل والحكومة المركزية والمقاطعات الاخرى[1]. إن نجاح المفاوضات يعتمد على الاطراف المعنية، بمعنى آخر يجب ضمان جميع حقوق و واجبات الاطراف المعنية، سواء كانت دولة الام كندا، أو الكيان المنفصل، أو المقاطعات الاخرى في كندا.

وقضت المحكمة بـ "إن انفصال كيبيك من جانب واحد من كندا، لايمكن أن يتحقق من خلال الجمعية الوطنية، الهيئة التشريعية أو حكومة كيبيك، من دون أن يكون هناك مفاوضات. ولكي تكون محاولة إحداث إنفصال إقليم من كندا عملاً مشروعاً، يجب القيام بها وفقاً للدستور الكندي، وإلا تنتهك النظام القانوني الكندي"[2].

إن الدستور الكندي التزم الصمت بشأن مسألة الانفصال، فهو لا يمنح و لايحظر هذا الحق، لذلك فان هذه العملية تحتاج إلى التفاوض (التفاوض بين جميع الجهات السياسية الفاعلة ذات الصلة، وهي –الحكومة الاتحادية، كيبيك وغيرها من المحافظات الاخرى، وربما الشعوب الاصلية ايضاً-) لتعديل الدستور ولتسهيل مسألة الانفصال، وبالرجوع إلى الدستور الكندي، فانه بالامكان اجراء أي تعديل على الدستور، بما في ذلك إدراج نص يبيح إنفصال كيبيك، شريطة أن يجرى التعديل وفقاً للاجراءات المنصوص عليها في الدستور.

وأشارت المحكمة ان الدستور سكت بشأن ما إذا كان بامكان المقاطعات الانفصال عن الاتحاد، و أوضحت المحكمة ان الانفصال سيغير الهيكل الحكومي لكندا بطريقة لاتنسجم مع الترتيبات الدستورية الحالية، ومع ذلك، تقر انه إذا تم إجراء استفتاء لصالح الانفصال، وصوت أغلبية

[1] Lindi Giulia, Op,Cit, P148.

[2] انظر نص القرار في الموقع الالكتروني:
www.scc.lexum.org(٢٠١٦/٧/٩)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

الكيوبيكيين لصالح الانفصال، فان على بقية كندا الالتزام بالتفاوض بشأن التغيرات الدستورية مع حكومة كيبيك للاستجابة لرغبة كيبيك في الانفصال، ولاتملك الحكومة الفدرالية، ولا الحكومات الاقليمية الاخرى "أساساً" لأنكار حق حكومة كيبيك في السعي إلى الانفصال، إذا ما اختارت اغلبية واضحة من أهالي كيبيك هذا الهدف، طالما انهم يفعلون ذلك، وتحترم كيبيك حقوق الآخرين[1].

وبعد تعديل الدستور، يستنتج بعض الفقهاء وبحذر انه "يخلق حق شبه دستوري للانفصال"، في حين يرى أخرون، ويتجرأون بشجاعة إن كندا لديها الحق في الاعتراف بالانفصال "إلا إن احداث انفصال إقليم أو أكثر، عملية مكلفة دستورياً"[2].

وإن المفاوضات –إذا اجريت بشكل صحيح من قبل جميع الاطراف- يمكن أن تصل إلى طريق مسدود، وفي هذه الحالة وفقاً لمنظور القانون الدستوري الكندي، إن إنفصال كيبيك عن كندا، لن يسمح به بسبب عدم وجود التعديل الدستوري[3].

وأشارت المحكمة ان المباديء الدستورية تتوافق مع المباديء الديمقراطية، حيث ان المباديء الدستورية تخلق "إطاراً منظماً يمكن للشعب أن يتخذ فيه القرارات السياسية"، ولاتهدف القواعد الدستورية إلى احباط إرادة غالبية الشعب، بل فقط لتحديد ما يجب استشارة الاغلبية من أجل تغيير "التوازنات الأساسية للسلطة السياسية والحقوق الفردية و حقوق الأقليات"، وتتطلب القواعد التي اعتمدتها المحكمة وجود أغلبية في كيبيك للتفاوض والتوافق مع الأغلبية في بقية كندا إذا كانوا يرغبون في إجراء تعديل دستوري يسمح لكيبيك بالانفصال[4].

التوافق و "الاتفاقيات" الدستورية كما يعرفها بيتر هوغ هي تلك "القواعد الدستورية التي لاتنفذها المحاكم"، ومن الصعب للغاية التمييز بين واجب التفاوض في "اعلان الانفصال" و

[1] Roya M.Hanna, Op,Cit, P220.

[2] Miodrag A.Jovanovic, Can constitution be use in the resolution of secessionist conflicts? Journal of international law and international relation, Vol5, No2, P66.

[3] Peter Radan, Constitutional law and secession, Op.Cit, P71.

[4] Roya M.Hanna, Op,Cit, P220.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

"اتفاقية الانفصال"، فاذا كان الاتفاقية "قاعدة ملزمة للسلوك الدستوري"، إلا ان "خرقها هو امر يتعلق بالعملية السياسية و الرأي العام، ولايتعلق بالعملية القانونية والمحاكم"[1].

وفي كل الأحوال فان التعديل الدستوري ضروري، لان فعل الانفصال بهدف تغيير حدود الأراضي الكندية، هو بلا شك يتعارض مع الترتيبات الدستورية الحالية[2].

إن قرار المحكمة يشير وبصراحة، إن الإنفصال يمكن أن يتحقق من خلال المفاوضات الداخلية لتعديل الدستور، أو اي قانون رسمي آخر[3]. وقررت انه في حالة التصويت بنعم، سيقع على الحكومة الفدرالية واجب دستوري للتفاوض بحسن النية بهذا الشأن[4].

وبالنسبة للاستفتاء فان المحكمة عبرت عن رأيها، وأشارت إلى ضرورة وجود دعم مناسب من سكان كيبيك لصالح الانفصال، وقضت "نتيجة الاستفتاء، إذا كانت الخطوات الواجب اتخاذها بمثابة تعبير عن الارادة الديمقراطية، يجب أن تكون خالية من الغموض –تعبير واضح-، سواء من حيث صياغة السؤال، أو من حيث الدعم الذي يحقق للانفصال"، لم توضح المحكمة ما هو المقصود بـ"التعبير الواضح"، لذلك هناك أراء بهذا الشأن، فهناك رأي يرى بان حكم المحكمة، يشير إلى الأغلبية المطلوبة هي أكثر من الأغلبية البسيطة، وأشار استطلاع للرأي اجري فوراً بعد قرار المحكمة العليا، ان اكثر من ثلاث أرباع من سكان كندا يعتقد ان "الأغلبية الواضحة" تعني (١+٥٠%)[5].

وأشارت المحكمة إلى انه إذا صوتت أغلبية سكان كيبيك لصالح الانفصال، فانه يجب ان تكون هناك عملية "تفاوض" بين كيبيك و بقية كندا، وقررت المحكمة ان قرار كيبيك بالانفصال سيؤثر في البيئة الاقتصادية والاجتماعية والسياسية للبلد، وأشارت المحكمة إلى انه في هذه المفاوضات

[1] Richard S.Kay, The secession reference and limits of law? Ota law rw 3, 2003, 10 otago law review 327, P331.

[2] Miodrag A.Jovanovic, Op,Cit, P66.

[3] Thomas Y Patreick,The zeitgeist of secession amidst the march towards unification; Scotland, ctalonia, and the future of European union, boston college international and comparative law review, Volume39 , P.

[4] Sujit Choudhry, Op,Cit, P144.

[5] Peter Radan, Op.Cit, P72-73.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

لايجوز لأي طرف ممارسة حقوقه بشكل يؤدي إلى إنكار حقوق الطرف الآخر، ويجب على الأطراف التفاوض وفقاً لمباديء الفدرالية والديمقراطية والدستورية وحماية الأقليات، وذكرت المحكمة ان رفض أي من الطرفين اجراء مفاوضات تتماشى مع هذه المباديء قد يعرض موقف الأطراف في نظر المجتمع الدولي للخطر[1].

وبعبارة اخرى ترى المحكمة ان انفصال كيبيك عن كندا من منظور الدستور الكندي غير قانوني، ولكن إذا ساندت أغلبية واضحة من الكيبيكيين الاستقلال سيكون من الواجب التفاوض معها في إطار مباديء محددة[2].

واقترحت المحكمة ان الانفصال الغير الدستوري من جانب واحد لكيبيك، ربما يمكن أن ينجح، إذا اعترف به المجتمع الدولي، وعلى الرغم من ان الاعتراف ليس ضرورياً لتحقيق إقامة الدولة، اقرت المحكمة في سياق الانفصال "إن وجود الدولة من الناحية العملية، يعتمد على اعتراف الدول الاخرى".

وأشارت المحكمة: "رغم انه لايوجد الحق، بموجب الدستور أو القانون الدولي، في الانفصال الانفرادي، فان إمكانية الاعلان غير الدستوري للانفصال، المؤدي إلى إنفصال أمر الواقع ليست مستبعدة، ان النجاح النهائي لمثل هذا الانفصال سوف يعتمد على الاعتراف من قبل المجتمع الدولي، الذي من المرجح ان ينظر في شرعية الانفصال مع الأخذ في الاعتبار، من بين حقائق اخرى، سلوك كيبيك وكندا، في تحديد ما إذا كان سيتم منح الاعتراف أم لا؟ وحتى إذا تم منحه فان هذا الاعتراف لن يقدم أي تبرير بأثر رجعي لعمل الانفصال، بموجب دستور كندا أو القانون الدولي "[3].

وهكذا تؤكد المحكمة ان الانفصال هو عمل سياسي يعتمد نجاحه النهائي على الاعتراف الدولي، ويفترض ان هذا الاعتراف يتوقف بشكل جزئي حول ما إذا كان الانفصال شرعياً أو قانونياً من منظور الجهات الدولية الفاعلة[4].

---

[1] Roya M.Hanna, Op,Cit, P221.
[2] Andre Lecours, Op,Cit, P18.
[3] Ibid , P18-19.
[4] Andre Lecours, Op,Cit, P19.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

أي إن الانفصال من جانب واحد من قبل كيبيك، دون تعديل الدستور لن يكون بالضرورة عملاً "غير قانوني"، إذ ستكون هناك حكومة مستقلة، وتعتبر هذه الحكومة صالحة قانونياً، إذا استوفت معايير معينة المنصوص عليها في القانون العام، وإحدى أهم هذه المعايير، هي وجود سيطرة فعلية من قبل الحكومة، على الاقليم الذي يدعي ان لديه الحق في الحكم، .....ومن الحقائق التأريخية ان هناك في كثير من البلدان، أنظمة معترف بها على انها مشروعة تستمد اصولها من أفعال غير مشروعة[1].

ان قرار المحكمة العليا تبعتها مجموعة كبيرة من الدراسات، وتمت قراءة الحكم على انه قانون يضع خريطة الطريق للاستفتاء والانفصال.

إذ رأت المحكمة ان الطريقة القانونية الوحيدة التي بموجبها يتم انفصال كيبيك عن كندا الفدرالية هي من خلال آليات التعديل المنصوص عليها في القانون الدستوري لعام ١٩٨٢، وهكذا أكدت ان كيبيك لايمكنها الانفصال دون موافقة مجلس النواب الفدرالي على الأقل وعدد من المجالس التشريعية الاقليمية.

ويمكن القول إن واجب التفاوض على تسوية جديدة، يكمن في جوهر العلاقة بين الحكومة المركزية والوحدات الفرعية الاقليمية، ومع ذلك، لاتنبغي المبالغة في تفسير موقف المحكمة باعتباره ضماناً لنجاح الانفصال الذي يتم عن طريق التفاوض، إذ تشير المحكمة على ان الاطراف المعنية يجب أن تتفاوض على تسوية مستقبلية، لكنها لاتقول إنها ملزمة بالموافقة على طلب الانفصال، حتى ولو كانت نابعاً عن أغلبية ساحقة من الأصوات[2].

المبحث الثالث

قانون الوضوح (The Clarity Act)

[1] David Matas, Can Quebec Separate?,1975 McGill law journal, P387.

[2] Lindi Giulia, Op,Cit,P150.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

في استفتاء عام ١٩٨٠ و ١٩٩٥ لم تقم الحكومة الفدرالية بأثارة شرعية أو قانونية الاستفتاءات، وإنما أثارت مسألة الشروط التي يجب أن تتوفر للاعتراف بدولة كيبيك المستقلة في حالة التصويت بنعم لصالح الاستقلال.

وبعد إجراء استفتاء اكتوبر ١٩٩٥ تبنت الحكومة الفدرالية سياستين: أولاً: اقترحت مجموعة من الاجراءات التي من شأنها أن تمنح مزيداً من السلطة لحكومة المقاطعات، ثانياً: نفذت خطة ما يسمى بـ"الخطة ب"، وكان الهدف من هذه الخطة توضيح ان انفصال كيبيك لايمكن تحقيقه بدون اجراءات معينة، قد تضع الحكومة الفدرالية –على سبيل المثال معاييرها الخاصة للتعبير عن الارادة الشعبية الكافية لاضفاء الشرعية على الانفصال، وحتى إذا تم الاتفاق على مبدأ السيادة، فقد يتطلب الأمر ترتيبات مالية و تعديلات اقليمية من شأنها ان تخلق صعوبات أمام دولة كيبيك القائمة وفي إطار هذا النهج، قررت الحكومة الفدرالية السعي للحصول على حكم قانوني يؤكد ان كيبيك ليس لديها الحق في الانفصال بشروطها الخاصة[١].

وأصدرت المحكمة العليا قرارها بشأن انفصال كيبيك في عام ١٩٩٨. وأوضح رئيس الوزراء لوسيان بوتشارد انه لن يلتزم بسيادة القانون وفقاً لما حددتها المحكمة في حكمها الصادر في ٢٠ اغسطس ١٩٩٨ و أكد Bouchard على متابعة انفصال كيبيك حتى مع ادراكه بان الشرط الأساسي الذي وضعته المحكمة –وهو ان يتم انجازه من خلال تعديل دستور كندا- من غير المحتمل ان يتحقق، وأعرب عن دهشته من إن المحكمة فرضت التزاماً على الاتحاد للتفاوض، إذا عبرت الكبيك رسمياً عن رغبة واضحة في الاستقلال، فقد أوضح رئيس الوزراء بوشار انه لن يكون ملزماً بالقيود المنصوص عليها في المحكمة، وادعى ان كيبيك لديها الحق في الانفصال من جانب واحد[٢].

وفي اعقاب قرار المحكمة العليا حول انفصال كيبيك، شرعت الحكومة الفدرالية لوضع الشروط التي وضعتها المحكمة في اطار تشريعي ما يسمى بـ"قانون الوضوح"[٣].

---

[1] Richard S.Kay, The secession reference and the limits of law, P328.

[2] William Johnson, How Canada plays Russian roulette with secession of quebec, Russian roulette with secession of quebec? , june 8, 2018, P132.

[3] Andre Lecours, Op,Cit, P19.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

رفضت حكومة وتشارد في كيبيك قبول رأي المحكمة العليا لذلك اصبح قانون الوضوح ضرورة ملحة[1].

وجدت المحكمة انه لايوجد تعارض بين القانون الدولي والدستور الكندي، وسعت الحكومة الفدرالية إلى تفعيل رأي المحكمة العليا عن طريق إصدار تشريع بهذا الصدد.

اعتبرت المحكمة انه ليس من واجبها الاشارة إلى شروط تنظيم الاستفتاء، مثل النصاب القانوني، و صياغة سؤال الاستفتاء، و إن كان ذلك يتطلب أن تكون نسبة المشاركة على أساس أغلبية واضحة، إذاً ان هذا الامر متروك للاتفاق بين الاحزاب السياسة الفاعلة.

وقدم مشروع قانون الوضوح في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩ وتمت الموافقة على مشروع القانون في ١٥ مارس ٢٠٠٠.

وفي ضوء ما تقدم فاننا نقسم هذا المبحث إلى مطلبين:

المطلب الاول: مناقشة مشروع قانون الوضوح في مجلس العموم الكندي.

المطلب الثاني: مضمون قانون الوضوح.

المطلب الاول

مناقشة مشروع قانون الوضوح في مجلس العموم الكندي

وصف رأي المحكمة العليا الشروط التي يمكن أن يحدث في ظلها الانفصال: "في سياق واضح"، وفقاً "لسيادة القانون"، و "منصفاً للجميع"، لذلك إذا كان هذا الرأي واضحاً و لاتشوبه شائبة، فلماذا شعرت حكومة كندا –بعد سنتين من اصدار حكم المحكمة- إلى سن قانون الوضوح، والذي من شأنه تفعيل حكم المحكمة؟

كانت حكومة كندا راضية تماماً عن فتوى المحكمة، التي قدمت التوضيح الذي سعت اليه الحكومة، في ٨ ديسمبر ١٩٩٧ أعلن رئيس الوزراء جان كريتيان "انه في مثل هذا الموقف (دعم واضح للانفصال)، سيؤدي بلا شك إلى مفاوضات مع الحكومة الفدرالية"، وفي أول بيان وزاري

[1] Stephane Dion, The reference on quebec secession appositive impact for all the honourable, 2012, 2013, P32.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

اعلن "ان الاحتمال المؤسف هو ان تصوت أغلبية ثابتة في كيبيك على سؤال واضح لصالح الانفصال، واعتقد أن بقية كندا سيكون أمام التزام اخلاقي للتفاوض على انفصال الاقليم"[1].

إن جوهر قانون الوضوح مستمد من فتوى المحكمة، يتناول القانون وضوح المسألة و وضوح الأغلبية والقضايا التي ستناقش أثناء المفاوضات.

في فبراير ٢٠٠٠ استمعت لجنة تشريعية برئاسة نائب رئيس البرلمان بيتر ميليكين إلى ٣٩ شاهداً، وتم اعتماد مشروع القانون C-20 من قبل مجلس النواب في ١٥ مارس ٢٠٠٠، ومن المهم جداً أن نشير إلى بعض الآراء و الحجج التي اثيرت ضد مشروع القانون خلال جلسات اللجنة، أدلى ستيفان ديون الوزير الاتحادي للشؤون الحكومية الدولية، بشهادته أمام اللجنة التشريعية في ١٦ فبراير ٢٠٠٠، وأدلى جوزيف فاسال وزير كيبيك للشؤون الحكومية الدولية، في ٢٤ فبراير، وأدلى كلود ريان زعيم الحزب الليبرالي في كيبيك بشهادته في ٢ فبراير، وأدلة باتريك موناهان بكلية اسجود هول للقانون في تورينتو بشهادته في ٢١ فبراير، وأدلى غوردون جيبسون كبير زملاء الدراسات الكندية في معهد فريزر في فانكوفر بشهادته في يوم ٢ فبراير[2].

أشار ستيفان ديون عضو البرلمان إن احتمال تقسيم البلد ضمنياً من خلال الانفصال أمر يدعو للقلق، إذا كان خارج نطاق القانون و يفتقر إلى الوضوح، لذا أولاً وقبل كل شيء بصفتي كيبيكياً، فأنا فخور بأن أكون وزيراً يرعى مشروع هذا القانون، لأن محاولة الانفصال التي تتم خارج الاطار القانوني سيكون لها آثار سلبية للغاية. كما أكد على ان هذا المشروع مؤيد لكيبيك، و مؤيد للديمقراطية، وهذا المشروع مفيد لجميع الكنديين. وأشار إلى ان "احد الأسباب التي تجعلنا بحاجة إلى مشروع قانون بالاضافة إلى رأي المحكمة العليا هو ان حكومة كيبيك الحالية قد رفضت الالتزام بعدم اجراء استفتاء ثالث، ورفض رئيس كيبيك الالتزام بفتوى المحكمة"[3].

---

[1] Stephane Dion, Op,Cit, p32.

[2] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادات الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

وأشار إلى انه "من المنطقي تماماً ألا تفكر دولة ديمقراطية حديثة في الدخول في مفاوضات حول تفكيك الدولة ما لم يكن هناك سؤال واضح"، ويقول "انهم ملزمون بالتفاوض.....إذا كانت هناك أغلبية واضحة تستند إلى سؤال واضح و ضمن الاطار الدستوري"[١].

إن مسألة النقاش حول الوضوح لم تخترعه فتوى المحكمة العليا أو مشروع قانون الوضوح، والنقاش مستمر منذ بداية هذه القضية[٢].

في عام ١٩٨٠ لم يكن هناك اتفاق بين رئيس الوزراء الكندي والكيبيكي حول تداعيات الاستفتاء، وكذلك الحال في عام ١٩٩٥ لم يكن هناك أي اتفاق، أي لم يكن هناك أي اتفاق حول ما يعنيه التصويت بـ"نعم" للاستفتاء.

وأشار ستيفان ديون "الآن دعونا نتحدث عن الأغلبية. أشارت المحكمة أكثر من (١٣) مرة إلى انه يجب تقييم وضوح أي أغلبية مستقبلية، واستخدمت عبارة "الأغلبية الواضحة" (١٣) مرة، إذاً هذه الفكرة مهمة، ولايمكن التعامل معه باستخفاف...." ويستمر في رأيه ويقول "اقتبس من الفقرة (١٥٣) من رأي المحكمة: سيكون للاعبين السياسيين تحديد ما الذي يشكل "أغلبية واضحة على سؤال واضح" في الظروف التي قد يتم فيها اجراء استفتاء في المستقبل.....هذه نصيحة حكيمة للغاية من المحكمة، .....ينص مشروع القانون على انه في حالة وجود أغلبية واضحة لصالح الانفصال، فان أول ممثل يحتاج إلى تقييم وضوح هذه الأغلبية سيكون الحكومة الانفصالية نفسها، ستحصل الحكومة على النتيجة، وتحدد ما إذا كان لديها أغلبية، ومن ثم ستقرر هي أو جمعيتها التشريعية ما إذا كانت ستدعو شركاء آخرين في الاتحاد للتفاوض بشأن الانفصال، وستكون الحكومة الانفصالية مسؤولة عن هذا التقييم"[٣].

وفقاً لرأي ستيفان ديون (وزير التاج الكندي)، إن مشروع القانون ضروري، لأن حكومة كيبيك رفضت الالتزام بفتوى المحكمة، و أكدت على ان المشروع الذي اعده حزب (PQ) لتفسير مرجع

---

[1] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[2] Stephan Dion, Joseph Facal, Gordon Gibson, Patrick Monahan, Claude Ryan, Round Table; The Clarity Act Debate in the house of commons, Canadian parliamentary review summer, 2000,

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

الانفصال كان غير مكتمل، لانه يركز فقط على الالتزام بالتفاوض متجاهلاً مفاهيم "الأغلبية الواضحة" و "السؤال الواضح"[1].

وأشار إلى ان "الاستفتاءات عبرت عن استشارة تجعل من غير الضروري تضمين أحكام حول الأغلبية المطلوبة أو مستوى مشاركة الناخبين. الاستفتاء هو التشاور. بعد التشاور تقوم السلطات السياسية بتقييم النتيجة وتتخذ القرارات وفقاً لذلك، ....كما يجب أن تتأكد صياغة السؤال على ما يريده الناس: "هل ترغب في مغادرة كندا للعيش في بلد مستقل، أي كيبيك؟، هذا هو السؤال، هذه النقطة الاولى، أما النقطة الثانية تتناول توقيت الاستفتاء...يجب ألا يعتمد توقيت الاستفتاء على اعتبارات تكتيكية تستند إلى لحظة تكون فيها العواطف عالية من اجل الفوز، بل يجب أن يأخذ توقيت الاستفتاء في الاعتبار مصالح جميع المعنيين، ....أما النقطة الثالثة من هذا المشروع القانون القصير، يتناول الاطار القانوني للمفاوضات، وأكدت المحكمة العليا ان المفاوضات بشأن الانفصال يجب أن تتم "ضمن الاطار الدستوري القائم" (الفقرة ١٤٩)، ويجب ان تحترم المباديء التي حددتها المحكمة (الفقرة ٩٠): الفدرالية والديمقراطية والدستورية والقانون، وحماية الاقليات"[2].

و "في رأي قانوني بتكليف من الكتلة، أكد البرفسور الآن بيليت ان فتوى المحكمة العليا شملت مسألة الحدود بين القضايا التي يمكن التفاوض بشأنها، ولكن ليس هناك يقين بشأن هذه النقطة. إذ لم يقم أحد بطلب ذلك، فلن يكون هناك سبب للتفاوض على الحدود. ومع ذلك إذا كان هناك طلب و اضح على القيام بذلك، وإذا كان الطلب واضحاً على الأقل مثل الطلب على الانفصال. فسيكون من الصعب جداً و ربما غير الاخلاقي تجاهل الطلب."[3].

أما **جوزيف فاسال** فيرى انه "في ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٩٥، صوت (٢ر٣٠٨ر٣٦٠) من الشعب الكيبيكي بـ"نعم" في الاستفتاء،...اليوم سيكون على الحكومة الفدرالية ....اصدار مرسوم

---

[1] Francisco Javier Romero Caro, The Spanish vision of canadas clarity act; From idealization, centro studi sul federalism, perspectives of federalism, Vol9, Issue 3, 2017, P137.

[2] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

ان هؤلاء الاشخاص البالغ عددهم (٢٫٣٠٨٫٣٦٠) مليون شخصاً لم يفهموا السؤال المذكور اعلاه، وبالتالي يجب حمايتهم من انفسهم"[١].

وأشار جوزيف فاسال إلى ان "وجود كيبيك ككيان سياسي يعود إلى ماقبل انشاء الاتحاد الكندي، مارست كيبيك حقها في اختبار وضعها السياسي بحرية عندما ساهمت في تشكيل كندا في عام ١٨٦٧ ، يجب أن يؤخذ ذلك دائماً في الاعتبار. من خلال الانضمام إلى الاتحاد لم يتخلى شعب كيبيك عن حقه في اختيار وضع سياسي آخر....ومع ذلك فان البند (١) من مشروع القانون (C20) يفرض بطريقة غير مباشرة مسألة الاستفتاء إذ يسمح لأغلبية اعضاء البرلمان من خارج كيبيك بالحكم على ما إذا كان السؤال واضحاً أم لا للتعامل معها...ونصت الفقرة الثانية من مشروع القانون على تمتع البرلمان الفيدرالي بسلطة تقديرية حول ما إذا كانت الأغلبية التي تم الحصول عليها غير كافية، حتى لو كان شعب كيبيك قد قبلت بالنتائج...وأخيراً يمنح البند الثالث من المشروع المجلس التشريعي لأية مقاطعة اخرى حق النقض المطلق على مستقبل شعب كيبيك من خلال صيغة التعديل الواردة في الدستور الكندي، إن شرعية هذا التعديل أمر مشكوك فيها، لأنها فرضت على كيبيك ولم تصدق عليها حكومة كيبيك"[٢].

"يشكك مشروع القانون (C٢٠) أيضاً في القاعدة المقبولة عالمياً في الديمقراطية والتي تبلغ (٥٠% زائد واحد، على الرغم من ان جميع الاستفتاءات التي عقدت في كندا حتى الآن تستند إلى نفس القاعدة. كما اعترفت كندا بالعديد من البلدان التي تم انشاؤها نتيجة للاستفتاءات التي اجريت على أساس هذه القاعدة، والتي في الواقع هي القاعدة الموحدة التي تعمل من خلالها الامم المتحدة..."[٣].

وأشار إلى ان "مشروع القانون C-٢٠ غير مقبول لعدة أسباب: يعنى مشروع القانون هذا إلى اخضاع شعب كيبيك إلى وصاية فيدرالية، ينفي المباديء الديمقراطية الأساسية، إنها إهانة لذكاء

---

[1] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[2] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

الكيبيكيين، يقوم بتثبيت نظام القوة التعسفية، وأخيراً، فانه يحمل في داخله بذور خيبة الأمل المريرة بالنسبة لك"[١].

ويتسأل جوزيف فاسال "يا اعضاء البرلمان الفيدرالي، هل تدركون الموقف المضحك الذي اثاره واضعو مشروع C-٢٠؟ هل تدرك انك على وشك تكريس مبدأ تشريعي، يعتبر بموجبه حكم الاعضاء المنتخبين، أعلى من حكم اولئك الذين انتخبوهم؟". لذلك "ففي اليوم الذي يقرر فيه الكيبيكيون تشكيل دولة جديدة، لن يقف قانون C-٢٠ في طريق، انت تخدع نفسك إذا كنت تعتقد خلاف ذلك. جرب الاتحاد السوفيتي هذا في عام ١٩٩١، لذلك فان مشروع قانون C-٢٠ لا يعد غير مقبولاً بالنسبة للكيوبيكيين فقط، بل انه غير مقبول لجميع الأطراف الممثلة في الجمعية الوطنية"[٢].

أما **كلود ريان** فيرى بان "البند (١) من مشروع القانون يتعارض مع المبدأ الفدرالي، بموجب نظ امنا، يعتبر كل مستوى حكومي ذي سيادة ضمن ولايتها القضائية. يعني هذا عموماً ان كل مستوى من مستويات الحكومة، طالما يعمل ضمن نطاق اختصاصه، يمكن أن يكون خالياً من التدخل من قبل المستوى الحكومي الآخر."، و "يحدد مشروع القانون العديد من المعايير، يعد اثنان منها مو جهاً للبرلمان عند تحديدها وضوح المسألة. ومن خلال تضمين هذه المعايير في القانون، سيتدخل البرلمان والحكومة الفدرالية، بشكل غير مباشر على الاقل، في صياغة السؤال، ولايعد هذا الفدرالية الحقيقية بل هو نظام وصاية"[٣].

"ومن وجهة النظر الديمقراطية، هناك مشكلة رئيسية اخرى مع البند (١)، قد يكون في الواقع ان قرار مجلس العموم الذي ينص على ان المسألة ليست واضحة بما فيه الكفاية والتي تصدر بموافقة أغلبية الاعضاء من خارج كيبيك، مغايراً و معاكساً لوجهة نظر غالبية أعضاء كيبيك".

---

[1] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[2] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

بموجب رأي كلود ريان انه إذا كان للجمعية الوطنية الحق في استشارة سكانها بشأن اقتراح الانفصال، فيجب أن تكون قادرة على القيام بذلك بدون أي قيود أو تدخل من برلمان آخر.

"وفي الختام اتمنى أن يحذف مشروع القانون أي حكم قد يؤدي إلى تدخل البرلمان الكندي دون مبرر في عملية الاستفتاء، وفرض قرار جديد من جانب واحد لتفسير نتيجة الاستفتاء، ومع ذلك، أجد انه من المناسب تماماً للبرلمان أن يطلب من الحكومة الفدرالية، بموجب القانون إذا رغبت في ذلك، انه في حال التصويت بنعم في الاستفتاء على السيادة، فانه يعقد على الفور اجتماعاً لأعضاء البرلمان والمقاطعات. ورؤساء الاقاليم وقادة السكان الاصليين للنظر في المسار الصحيح للعمل"[١].

أما **باتريك موناهان** فيرى "....إن هذا يتعارض مع المبدأ الفيدرالي، لأن مسألة الاستفتاء في كيبيك بشأن السيادة هي مسألة ولاية اقليمية حصرية، وليس من المناسب أن تتدخل الحكومة الفيدرالية في اختصاص المقاطعة، وبالتا لي فان مشروع القانون هذا يمثل انتهاكاً للمبدأ الفيدرالي"[٢]. ويستمر في قوله "ومع ذلك فان السؤال هو ما إذا كان انفصال مقاطعة ما عن كندا يتناول مسألة تدخل نطاق الولاية الحصرية لمقاطعة ما بموجب الدستور، ...إن الجواب على ذلك هو لا، كما ذكرت المحكمة العليا ...إن انفصال كيبيك هو الانفصال الذي ينطوي على مصالح جميع الكنديين، ....لذلك فهي ليست مسألة ولاية قضائية حصرية، إنها مسألة تهم كندا ككل، ....يبدو لي انه من المناسب تماماً أن يصدر مجلس العموم هذا المشروع، لأن هذا يسمح لأحزاب المعارضة، وكذلك لأعضاء آخرين في المجلس، بالمشاركة في المناقشة حول وضوح السؤال، ولا يكون مسألة تحددها الحكومة وحدها بشكل سري في غرفة مجلس الوزراء...."[٣].

لذلك توصل باتريك موناهان بان مشروع القانون يتوافق تماماً مع المبدأ الفيدرالي إذ يقول "اعتقد ان مشروع القانون هو مشروع مناسب، وهو بالفعل مشروع ضروري، أود أن أقول

---

[1] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[2] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

[3] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي: www.parl.gc.ca(٢٠١٨/٤/٢)

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

ببساطة انني اعتقد انها تعزز الديمقراطية من أجل إصدار اعلان مسبق قبل اجراء الاستفتاء حول وضوح السؤال.."[١].

أما **جوردون جيبسون** فانه يعترض على مشروع القانون ويرى "أولاً إن مشروع القانون غير ضروري، ولايضيف شيئاً مفيداً لقرار المحكمة وللسلطات البرلمانية الحالية، ثانياً سيكون مشروع القانون غير فعال في العالم الواقعي....ثالثاً يزيد من مخاطر سوء التقدير من قبل ناخبي كيبيك،....رابعاً يكون مشروع القانون عقبة ...أمام اتخاذ اجراءات بناءة بشأن اتحاد فيدرالي...وهكذا لايضيف مشروع القانون شيئاً إلى كندا، ...عندما تقوم بتمرير هذا القانون، ...فانك تضع قنبلة موقوتة على الساحل الغربي لكندا، سيتعين علينا جميعاً أن نحاول السيطرة عليها..."[٢].

المطلب الثاني

مضمون قانون الوضوح

ذكرت ديباجة مشروع القانون ان الغرض منه هو توضيح الظروف التي ستدخل بموجبها الحكومة الكندية في مفاوضات بعد استفتاء المقاطعة على الانفصال لهذا السبب، حدد قانون الوضوح القواعد التي يجب مراعاتها قبل ان تدخل الحكومة الفيدرالية في أي نوع من المفاوضات مع أي مقاطعة تريد الانفصال[٣].

---

[١] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca (٢٠١٨/٤/٢)

[٢] للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca (٢٠١٨/٤/٢)

[٣] ج للاطلاع على النص الكامل لتلك الشهادة الموقع الرسمي للبرلمان الكندي:
www.parl.gc.ca (٢٠١٨/٤/٢)جاء في ديباجة القانون "بما ان المحكمة العليا لكندا أكدت على انه لايوجد حق، بموجب القانون الدولي، أو قالدستور الكندي، في أن تقوم الجمعية الوطنية أو الهيئة التشريعية أو حكومة كيبيك باجراء انفصال كيبيك عن كندا من جانب واحد، وبما ان أي اقتراح يتعلق بتفكيك دولة ديمقراطية هو أمر ذو أهمية قصوى، وله أهمية أساسية لجميع مواطنيها، وحيث يحق لحكومة أي مقاطعة في كندا استشارة سكانها عن طريق الاستفتاء في أية مسألة، ويحق لها صياغة سؤال الاستفتاء الخاص بها، وحيث قررت المحكمة العليا لكندا ان نتيجة الاستفتاء على انفصال مقاطعة من كندا يجب أن تكون خالية من الغموض سواء من حيث السؤال المطروح أو من حيث الدعم الذي تحصل عليه إذا ما تم اتخاذ هذه النتيجة على نحو تعبر عن الارادة الديمقراطية التي من شأنها أن تؤدي إلى التزام بالدخول في مفاوضات تؤدي إلى الانفصال، وحيث ذكرت

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

إن ديباجة القانون كانت تقريباً ملخصاً لحكم المحكمة العليا، إذ كرر ان انفصال كيبيك لم يكن حقاً إلا انه احتمال.

أولاً وقبل كل شيء أقر قانون الوضوح بان "يحق لحكومة أي مقاطعة أستشارة سكانها عن طريق الاستفتاء على أي قضية ويحق لها صياغة سؤال الاستفتاء"[١]، كما نص على ان "المحكمة العليا في كندا قررت ان نتيجة الاستفتاء على أي انفصال أي مقاطعة من كندا يجب أن تكون خالية من الغموض سواء من حيث السؤال المطروح أو من حيث الدعم الذي يحققه، إذاً هذه النتيجة يجب أن تؤخذ كتعبير عن الارادة الديمقراطية التي من شأنها ان تؤدي إلى الالتزام بالدخول في مفاوضات قد تؤدي إلى الانفصال".

نص القانون على ما يلي:

١-بالنسبة لدور مجلس النواب في تقييم سؤال الاستفتاء، سيكون لدى مجلس النواب (٣٠) يوماً لتحديد ما إذا كانت مسألة الانفصال واضحة بما فيه الكفاية أم لا؟ ونص القانون على ان السؤال لايمكن أن يشير إلا إلى الانفصال وليس إلى أفكار اخرى مثل مزيد من الترتيبات مع كندا.

أي ان مجلس النواب سوف يحكم في غضون ثلاثين يوماً بعد تقديم تشريع الاستفتاء من قبل المقاطعة فيما إذا كانت المسألة واضحة أم لا[٢]. و إن "حكومة كندا لن تدخل في مفاوضات ....إذا

المحكمة العليا لكندا ان الديمقراطية تعني أكثر من مجرد قاعدة الأغلبية البسيطة، وان الأغلبية الواضحة لصالح الانفصال ستكون مطلوبة لأنشاء التزام بالتفاوض على الانفصال، وانه يلزم اجراء تقييم نوعي لتحديد ما إذا كانت الأغلبية الواضحة في صالح موجود، وحيث أكدت المحكمة العليا لكندا، لكي يكون انفصال مقاطعة ما في كندا قانونياً، سيتطلب ذلك تعديلاً لدستور كندا، بحيث يتطلب هذا التعديل إجراء مفاوضات فيما يتعلق بالانفصال الذي يشمل الحكومات جميع المقاطعات والحكومة الكندية، وان تلك المفاوضات ستحكمها مباديء الفيدرالية والديمقراطية والدستورية و سيادة القانون و حماية الأقليات، وحيث انه في ضوء ما توصلت اليه المحكمة العليا في كندا من انه سيكون للمثلين المنتخبين تحديد ما الذي يشكل سؤالاً واضحاً وما الذي يشكل أغلبية واضحة في استفتاء يجري في مقاطعة ما بشأن الانفصال، مجلس العموم باعتباره المؤسسة السياسية الوحيدة المنتخبة لتمثيل جميع الكنديين، لها دور مهم في تحديد ما يشكل سؤالاً واضحاً و الأغلبية الواضحة لكي تكون كافية لحكومة كندا للدخول في مفاوضات تتعلق بانفصال مقاطعة عن كندا، وقد يترتب على ذلك انهاء المواطنة، والحقوق الاخرى التي يتمتع بها المواطنون الكنديون المقيمون في المقاطعة، ما لم يعبر سكان تلك المقاطعة بوضوح عن ارادتهم الديمقراطية بعدم انفصال المقاطعة عن كندا، وبالتالي، فان جلالة الملكة بناء على مشورة و موافقة مجلس الشيوخ و مجلس العموم في كندا، تسن على النحو التالي: .....

[١] ينظر ديباجة القانون.

[٢] المادة (١-١).

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

قرر مجلس العموم وفقاً لهذا القسم، إن سؤال الاستفتاء غير واضح، ولهذا السبب، لن يؤدي التعبير الواضح لارادة سكان تلك المقاطعة إلى الانفصال....."[١].

وتجدر الاشارة إلى ان فتوى المحكمة لم توضح بشكل واضح مفهوم "الوضوح" لقد ذكر فقط انه يجب أن يكون خالياً من الغموض وانه يجب على الأطراف السياسية تحديد ذلك[٢].

بالاضافة إلى ذلك حددت الحكومة الفدر الية أيضاً الخيارات التي يمكن تقديمها للناخبين، من خلال صياغة أسئلة تفي بالتعبير الواضح عن متطلبات "الارادة" الواردة في القانون، وكان الهدف من وضع هذا النص هي منع الحكومة الفيدرالية من الدخول في مفاوضات وفقاً للأسئلة التي استخدمت في استفتاءات ١٩٨٠ و ١٩٩٥، حيث أشارت بيانات استطلاع الرأي إلى وجود ارتباك بين الناخبين حول معنى الأسئلة الواردة في الاستفتائين[٣].

إلا ان هذا النص لايعكس تماماً رأي المحكمة، حيث لم تتضمن فتوى المحكمة أي اشارة إلى حظر السؤال عن الترتيبات المستقبلية مع بقية كندا.

٢-دور مجلس النواب في تقييم النتائج، وهذا يعني ان على مجلس النواب ان يأخذ في الاعتبار نسبة اغلبية الاصوات لنجاح عملية الانفصال، والنسبة المئوية للناخبين الذين أدلوا بأصواتهم واعتبارات اخرى. ولم ينص مشروع القانون على أغلبية معينة من شأنها أن تصل إلى حد الوضوح.

إذ نص القانون على ان "حكومة كندا لن تدخل في مفاوضات حول الشروط التي قد تتوقف فيها المقاطعة عن الانضمام إلى كندا، ما لم يحدد مجلس العموم، بموجب هذا القسم، انه كان هناك تعبير واضح يعبر بشكل واضح عن رأي غالبية سكان تلك المقاطعة، بان تلك المقاطعة لم تعد جزءاً من كندا"[٤].

لم يشر هذا النص إلى أي نسبة معينة أو اقتراح بشأن "الأغلبية الواضحة"، وهو ما يعني ان مجلس النواب مخير ولديه السلطة التقديرية بعد اجراء الاستفتاء لتقييم ما إذا كانت هناك إرادة واضحة للانفصال أم لا؟ ويبدو ان قانون الوضوح يسهل الأمر دستورياً، إلا انه من الناحية

---

[١] المادة (١-٦).

[2] Francisco Javier romero, Op,Cit, P137.

[3] Ibid , P138.

[4] المادة (٤).

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

السياسية يعني ان بأمكان الحكومة الفدرالية الكندية ان تقول ان التصويت بـ"نعم" قد لايؤدي إلى الانفصال[1].

أي لم يحدد قانون الوضوح حد أدنى أو أعلى من الدعم المطلوب للنظر في ان النتيجة تشكل تعبيراً واضحاً عن إرادة الانفصال، وتركت المحكمة "الاغلبية الواضحة" للجهات السياسية الفاعلة لتحديدها، لكنها قدمت ملاحظتين مهمتين تحتاج إلى تسليط الضوء عليهما، الاول هي ان الاغلبية الواضحة يجب أن تأتي من تقييم نوعي، ثانياً هي ان الديمقراطية والنظام الدستوري هما أكثر من مجرد قاعدة أغلبية بسيطة، من هاتين الملاحظتين يمكن استنتاج ان الاغلبية البسيطة يمكن أن لاتعتبر بأنها تشكل أغلبية واضحة، وان هناك عوامل اخرى مثل العدد الاجمالي للناخبين، أو التوزيع الاقليمي للأصوات يجب أن تؤخذ بعين الاعتبار[2].

وسنت الجمعية الوطنية لكيوبيك مشروع القانون رقم (٩٩)، والذي يتضمن تفسير كيبيك لـ"مرجع الانفصال"، إذ يرى ان شعب كيبيك لديه الحرية في تقرير نظامه وتحديد وضعه القانوني، كما ينص مشروع القانون (٩٩) في القسم (٤) على ان خيار الفوز سيكون هو الخيار الذي يحصل على (٥٠%+١) من الأصوات المدلى بها.

قدم مشروع القانون (٩٩) قانون "يحترم ممارسة الحقوق والامتيازات الأساسية لشعب كيبيك و دولة كيبيك" في ١٥ كانون الاول /ديسمبر ١٩٩٩ تمت الموافقة عليه في ١٣ كانون الاول/ ديسمبر ٢٠٠٠، ويؤكد هذا القانون على الحقوق والامتيازات الأساسية لشعب كيبيك، كما يؤكد على وجه الخصوص على ان الشعب له الحق في أن يقرر بحرية النظام السياسي والوضع القانوني لكيبيك، وان شعب كيبيك يجب أن يحدد بمفرده من خلال مؤسساته السياسية الخاصة طريقة ممارسة ذلك الحق، بالاضافة إلى ذلك، ينص مشروع القانون على انه لايجوز لأي برلمان أو حكومة اخرى تقليص صلاحيات أو سلطات أو سيادة أو شرعية الجمعية الوطنية أو فرض قيود على الارادة الديمقراطية لشعب كيبيك لتحديد مستقبله، كما ينص القانون أيضاً على خصائص ولاية كيبيك واختصاصها في مختلف المجالات.

---

[1] Andre Lecours, Op,Cit, P19.

[2] Francisco Javier romero caro, Op,Cit, P138.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

كما أكد القانون على التزام كيبيك باحترام حقوق وحريات الانسان، وبما انه يوجد داخل كيبيك قوميات (Abenaki, Algonquin, Ahikamek, Cree, Huron, Innu, Malecite, Micmac, Mohawk, Naskapi, And inuit) وقد اعتمدت الجمعية الوطنية في ٢٠ مارس ١٩٨٥ قراراً بشأن الاعتراف بتلك القوميات، ولاسيما حقهم في الحكم الذاتي داخل كيبيك.

كما أكد القانون على ان الجمعية الوطنية لم تلتزم أبداً بالقانون الدستوري لعام ١٩٨٢ الذي تم سنه على الرغم من معارضته.

وأكد الفصل الاول من القانون تحت عنوان "شعب كيبيك" على:

١- حق شعب كيبيك في تقرير المصير استناداً على الواقع والقانون، وان شعب كيبيك لديه حق معترف به دولياً بموجب مبدأ المساواة في الحقوق وتقرير المصير للشعوب.

٢-ان شعب كيبيك لديه الحق في تقرير النظام السياسي و الوضع القانوني لمدينة كيبيك بحرية.

٣-يحدد شعب كيبيك وحده، من خلال مؤسساته السياسية، طريقة ممارسة حقه في اختيار النظام السياسي والوضع القانوني لـ(كيبيك) ولايسري أي شرط أو طريقة لممارسة هذا الحق ولاسيما استشارة شعب كيبيك عن طريق الاستفتاء، ما لم يتم تحديده وفقاً للفقرة الاولى.

٤-عندما تتم استشارة شعب كيبيك عن طريق الاستفتاء بموجب قانون الاستفتاء، فان خيار الفوز هو الخيار الذي يحصل على أغلبية الأصوات الصحيحة المدلى بها، أي (٥٠+١) في المائة من الاصوات الصحيحة المدلى بها.

وتتعرض بعض أحكام مشروع القانون (٩٩) بشكل مباشر مع اللوائح التي وضعتها الحكومة الفدرالية في قانون الوضوح، وعلى الرغم من احالة هذا الخلاف إلى المحاكم قبل سنوات، إلا انه لم يصدر أي حكم بهذا الشأن حتى الآن[1].

٣-حظر دخول الوزراء في مفاوضات بشأن الجوانب العملية للانفصال، ما لم يقرر المجلس ان التعبير عن إرادة شعب المقاطعة كان واضحاً.

يحظر قانون الوضوح على حكومة كندا الدخول في مفاوضات بشأن الانفصال، إلى ان يخلص مجلس العموم ان هناك دعماً واضحاً للانفصال، إن المضي في عملية الانفصال تتطلب التفاوض، إن هذا الشرط أكد عليه حكم المحكمة بوضوح، وقال العميد بيتر هوج أمام اللجنة الدائمة

[1] Francisco Javier Romero Caro, Op,Cit, P139.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

بمجلس النواب المكلف بدراسة مشروع القانون: "أن مشروع القانون ينسجم تماماً مع حكم المحكمة العليا، لذلك اعتقد انه من الصعب أن ندعم قرار المحكمة و نرفض مشروع القانون[1].

٤-ينبغي أن يتم الانفصال عن طريق تعديل الدستور، وهذا يتطلب تدخل الحكومة الاتحادية و المقاطعات الاخرى.

٥-حظر الوزراء الاتحاديين الذين يقومون بتعديل الدستور لتحقيق الانفصال ما لم يتناول ما يلي:

أ-تقسيم الموجودات.

ب-تغيرات في حدود المقاطعة.

ج-حقوق الشعوب الأصلية و مصالحها الاقليمية و حماية حقوق الاقليات.

من المستبعد إجراء استفتاء ثالث حول الاستقلال على المدى القصير والمتوسط، لان دعم النهج الانفصالي في الوقت الحالي في أدنى مستوياته مقارنة بالعقود السابقة[2].

ومع ذلك بعد مرور سنتين على اجراء الاستفتاء، شكل (PQ) حكومة أغلبية بعد انتخابات كيبيك في عام ١٩٩٨، كان هناك توقع بشأن تنظيم اجراء استفتاء ثالث على الاستقلال، وفي هذا السياق قررت الحكومة الاتحادية الكندية وضع إطار قانوني للاستفتاء على الاستقلال في البلاد.

[1] Stephan Dion, Op,Cit, P33.

[2] Andre Lecous, Op,Cit, P17.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

الاستنتاجات

١-تم إنشاء الهيكل النظام الفدرالي الحالي في كندا في عام ١٨٦٧، مع منح جزء من السيادة الداخلية للمقاطعات، وخلال فترة عشرينيات و ثلاثينيات القرن الماضي، ظهرت النزعة القومية الكيبيكية، و ظهرت الأحزاب التي تنادي بالاستقلال، وتم اجراء استفتاء في عام ١٩٨٠ الخاص بـ"السيادة"، وكانت النتيجة لصالح البقاء داخل الاتحاد الكندي، وفي انتخابات كيبيك لعام ١٩٩٤، أعاد الناخبون الثقة بحزب (PQ)، واجرى استفتاءاً حول سيادة كيبيك في عام ١٩٩٥ وكانت النتيجة بفارق ضئيل لصالح البقاء داخل الاتحاد الكندي.

٢-في ٢٠ اغسطس ١٩٩٨ ، أصدرت المحكمة العليا الكندية قراراً بشأن مشروعية انفصال كيبيك من جانب واحد، شددت المحكمة في فتواها على "المباديء الأساسية الأربعة في الدستور"، وهذه المباديء هي "الفدرالية والديمقراطية و سيادة الدستور و القانون و احترام الأقليات"، وبموجب القانون الدستوري الكندي، فان الانفصال بموجب هذه المباديء يستوجب التفاوض على تعديل الدستور الكندي، وبعد تعديل الدستور، يستنتج بعض الفقهاء و بحذر انه "يخلق حق شبه دستوري للانفصال"، وفي كل الأحوال فانه وفقاً لمنظور القانون الدستوري الكندي، لن يسمح بانفصال كيبيك عن كندا بسبب عدم اجراء التعديل الدستوري.

٣-أقرت المحكمة ان الاستفتاء هو الخيار الأكثر فاعلية إذا كانت الوحدة الاقليمية تريد الاستماع اليها ولاترى المحكمة ان الاستفتاء الزامي بهدف الانفصال، ولكن بالنظر إلى ان تنفيذ الحقوق الديمقراطية له اهمية أساسية في النظام القانوني تقر بأهمية الاستفتاء، إذ منحت المحكمة القيمة القانونية للاستفتاءات الاقليمية، من دون أن يضفي الاستفتاء الشرعية على الانفصال، لكونها اشترطت أن يكون التصويت على الانفصال خالياً من الغموض سواء من حيث السؤال المطروح أو من حيث الدعم المطلوب لنجاحه.

٤-بالنسبة للاستفتاءات فان المحكمة عبرت عن رأيها، وأشارت إلى ضرورة وجود دعم مناسب و "تعبير واضح" من سكان كيبيك لصالح الانفصال، سواء من حيث صياغة السؤال أو الدعم الذي يحقق للانفصال، لم توضح المحكمة مالمقصود بـ"التعبير الواضح"، لذلك هناك آراء بهذا الشأن فهناك رأي يرى بأن حكم المحكمة يشير إلى الأغلبية البسيطة، وهناك رأي آخر يرى أن الأغلبية الواضحة تعني (٥٠%+١).

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

٥-في اعقاب فتوى المحكمة العليا حول انفصال كيبيك شرعت الحكومة الفدرالية لوضع الشروط التي وضعتها المحكمة في إطار تشريعي ما يسمى بـ"قانون الوضوح"، وقدم مشروع قانون الوضوح في ٢٠ ديسمبر ١٩٩٩، وتمت الموافقة على مشروع القانون في ١٥ مارس ٢٠٠٠، وأكد القانون على دور مجلس النواب في تقييم سؤال الاستفتاء لتحديد ما إذا كان السؤال واضحاً أم لا؟ كما أكد على دور المجلس في تقييم النتائج، وهذا يعني إن على مجلس النواب أن يأخذ في الاعتبار نسبة أغلبية الأصوات لنجاح عملية الانفصال، والنسبة المئوية للناخبين الذين أدلوا بأصواتهم و اعتبارات اخرى. وهكذا فان جوهر قانون الوضوح مستمد من فتوى المحكمة، يتناول القانون وضوح السؤال و وضوح الأغلبية والقضايا التي ستناقش أثناء المفاوضات.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

قائمة المصادر والمراجع

١-باللغة العربية

أ-الاطاريح

١- سرهنك حميد صالح البرزنجي، مقومات الدستور الديمقراطي و آليات المدافعة عنه- دراسة تحليلية نقدية مقارنة في ضوء المباديء العامة للدساتير المعاصرة، اطروحة دكتوراه فلسفة في القانون العام، جامعة صلاح الدين- كلية القانون والسياسة، ٢٠٠٧.

ب-الدوريات

١- د.باسم علي خريسان، النظام السياسي الاسترالي والكندي، مجلة (اهل البيت)، العدد التاسع.

٢-باللغة الانكليزية

أ-الكتب

1. Andre Lecours, The two quebec independence referendums; Political strategies and international relation, coleccion monografias cidob, 2017.
2. Anne F.Bayefsky, Self-determination in international law, Quebec and lessons learned, York university, Toronto, Canada, 2000.
3. Ben Smith, The Quebec referendums, House of commons- library, Resech paper, 2013.
4. Gregory millard, Secession and self quebec in Canadian thought, mcgill-queens university press 2008, Montreal and kigston, London,Ithaca.
5. Lindi Giulia, Secession and referendum; Anew dimension of international law on territorial changes? Indirizzo in piritto internazionale e dell union europea settore scientific disciplinare, Anni 2014-2017.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

6. Stephane Dion, The reference on quebec secession appositive impact for all the honourable, 2012, 2013.

ب-الاطاريح و الرسائل

1. Alixander Funk, Asymmetrical federalism, Astabilizing or destabilizing factor in the multinational federation? Acomparative study of asymmetrical federalism in Canada and spain, Center imternational de formation europeenne, Master thesis, 2009-2010.

2. Jure Vidmar, Democracy And state creation in international law, PHD Thesis, University of Nottingham, 2009.

3. Rokas Levineski, Whether there is aright to remedial secession under international law? Magistro baigramasis darbas, Vytuto didziojo universitetas, Kaunas, 2018.

4. Sopio Asatiani, Remedial Secession under international law; Analysis of Kosovo, Abkhazia and south Ossetia, Central European university, LL.M human rights thesis, 2013.

ج-الدوريات

1. David Matas, Can Quebec Separate?,1975 McGill law journal.

2. Florenta Harbo, Secession right- an anti- federal principle?comparative study of federal states and the EU, Journal of politics and law,Vol1, No3, September, 2008.

https://doi.org/10.17656/jlps.10159

3. Francisco Javier Romero Caro, The Spanish vision of canadas clarity act; From idealization, centro studi sul federalism, perspectives of federalism, Vol9, Issue 3, 2017.

4. Francois Yalea, Claire Durandb, What did quebec want?impact of question wording constitutional proposal and cotext on support for sovereignty, 1976-2008, American review of candian studies, Vol.41, NO.3.

5. Miodrag A.Jovanovic, Can constitution be use in the resolution of secessionist conflicts? Journal of international law and international relation, Vol5, No2.

6. Montserrat Guibernau, National identity, Devolution and secession in Canada, Britain and spain, Nations and nationalism, 12(1), 2006.

7. Peter Radan, Constitutional law and secession, The case of Quebec, 1998(2) macarthur, Law review 4, 2Macarthar law review 69.

8. Richard S.Kay, The secession reference and limits of law? Ota law rw 3, 2003, 10 otago law review 327.

9. Roya M.Hanna, Right to self- determination in re secession of quebec, Maryland journal of international law, Vol 23, Iss.1 (1999).

10. Stephan Dion, Joseph Facal, Gordon Gibson, Patrick Monahan, Claude Ryan, Round Table; The Clarity Act Debate in the house of commons, Canadian parliamentary review summer, 2000.

11. Sujit Choudhry, Constitutional theory and quebec secession reference, Canadian journal of law and jurisprudence, Vol 13, No2, 2000.

12. Thomas Y Patreick,The zeitgeist of secession amidst the march towards unification; Scotland, ctalonia, and the future of European union, boston college international and comparative law review, Volume39.

13. William Johnson, How Canada plays Russian roulette with secession of quebec, Russian roulette with secession of quebec? , june 8, 2018.

د-القرارات

١- فتوى المحكمة العليا الكندية بشأن انفصال كيبيك، متاح على الموقع الالكتروني:
www.scc.lexum.org

هـ-المصادر الالكترونية

-١ Alan Trench, Intergovrnmental relations in Canada; Lessons for the U.K?
www.centreonconstitutionalchange.ac.uk(٢٠١٩/١/٨)